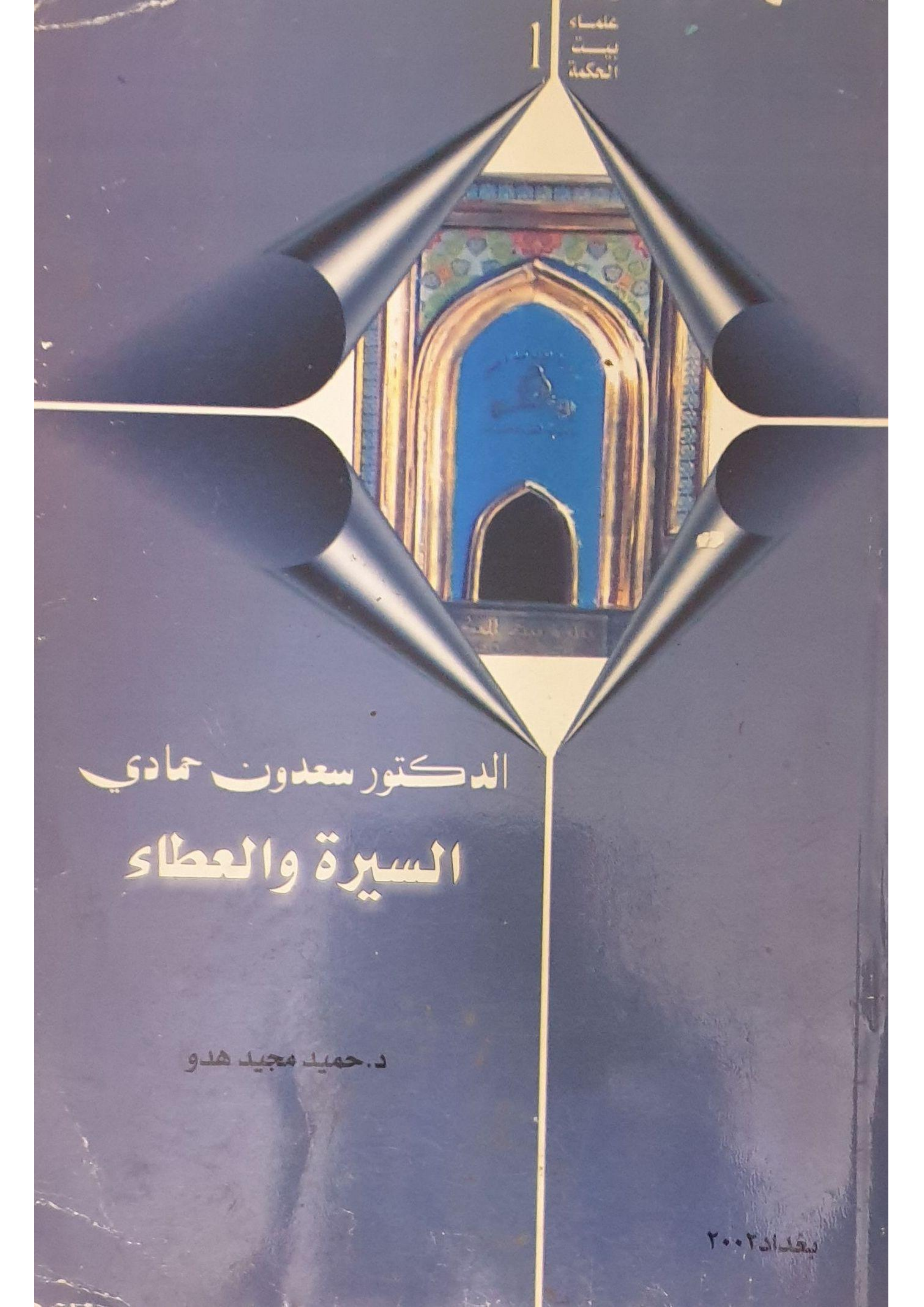


علماء
بيت
الحكمة
1
الدكتور سعدون حمادي
السيرة والعطاء
د. حميد مجيد هدو
بغداد ٢٠٠٢

بيت الحكمة

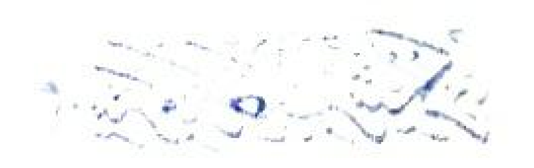
علماء بيت الحكمة 1

الدكتور سعدون حمادي

السيرة والعطاء

د. حميد مجيد هدو

بغداد
٢٠٠٢



عنوان الكتاب: الدكتور سعدون حمادي.. السيرة والعطاء

أسم المؤلف : الدكتور حميد مجيد هدو

الناشـــــر: بيت الحكمة

الطبعـــــة: الأولى

بيت الحكمة – عراق – بغداد – ص.ب. (٥٣٦٤٠)

هاتف: ٤١٤٠٠١٥/٤١٤١٢٠١ فاكس ٨٨٦٣٠١٥

E-Mail: hikma@uruklink.net

بسم الله الرحمن الرحيم

برعاية القائد صدام حسين

بيت الحكمة

مؤسسة فكرية قومية

العدد : ٢٥٤/١/١

التاريخ : ٣٠/شعبان/١٤٢٢ هـ

الموافق : ٢٠٠١/١١/١٥ م

قـــرار

بناءً على ترشيح الفرق الاستشارية للأقسام العلمية في بيت الحكمة، واستناداً إلى موافقة مجلس رؤساء الأقسام، قرر مجلس الأمناء منح جوائز بيت الحكمة في اختصاصات الأقسام العلمية للسنة ٢٠٠١ للذوات المدرجة أسماؤهم في أدناه، اعترافاً بدورهم الكبير ومساهماتهم العلمية المتميزة وتقديراً لجهودهم المستمرة في إغناء الثقافة العربية واستلهام جوهر حضارة الأمة وتراثها بتوظيف إنجازاتهم الثقافية لصالح الأمة ومستقبلها في نضالها الوحدوي التحرري:

١. الأستاذ الدكتور سعدون حمادي	الدراسات الاقتصادية
٢. الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي	الدراسات التاريخية
٣. الأستاذ الدكتور عبد العزيز البسّام	الدراسات الفلسفية
٤. الأستاذ الدكتور جميل الملائكة	دراسات الترجمة
٥. الأستاذ ضياء شيت خطاب	الدراسات القانونية
٦. الأستاذ الدكتور صادق الأسود	الدراسات السياسية
٧. الأستاذ الدكتور اكرم نشأت	الدراسات الاجتماعية
٨. الأستاذ الدكتور محسن عبد الحميد	الدراسات الإسلامية

-بيت الحكمة في الأربعاء : ٢٩ شعبان ١٤٢٢ هـ

١٤ تشرين الثاني ٢٠٠١ م

حميد سعيد

رئيس مجلس الأمناء

المحتوى

بسم الله الرحمن الرحيم

المدخل

الكتابة عن سير الأعلام هي الطريقة المثلى لتوثيق جانب من الجوانب التي نبغ فيها ذلك العَلم. وقد تنبه المؤرخون إلى هذا الجانب منذ عهد ليس بالقريب.

وقد أحسن بيت الحكمة البغدادي المعاصر صنعاً حين قرر تكريم جمهرة من العلماء والمفكرين ومن كانت لهم عصا السبق، والقِدح المعلّى في التطور الفكري والتنموي ، او في المباحث الإنسانية وهو يرمي بذلك إلى هدف سامٍ ونبيل يتمثل تحفيز هؤلاء العلماء للمزيد من العطاء، وعدم التوقف خدمة للفكر الإنساني أولا، واعلاءً لاسم العراق العظيم مهد الحضارات الإنسانية ومبتدع الأبجدية قبل آلاف السنين .

وحين عُهد اليّ بتدوين سير عدد من هؤلاء العلماء والمفكرين المكرَمين أخذت على نفسي أولا توخي الدقة في ايراد المعلومة، والشمول في إعداد المنهج ، والتدرج في توثيق الأحداث ايمانا مني بان الذي اكتبه سيظهر للناس فيقرؤونه سيتخذ صورة للواقع الذي يجب ان يتجلى لعين القارئ والمتتبع والذي تهمه تلك السيرة بحال من الأحوال .

والحديث عن الأستاذ الدكتور سعدون حمادي يأخذنا بطبيعته إلى حلبات واسعة من الناحية المعرفية والعمل السياسي والاقتصادي والتدريسي، تجلّ عن الحصر في بضع ورقات ، وبذلك سأدوّن ما لابد منه توخياً للتقيّد بما هو مطلوب مني في إطار منهج بيت الحكمة في الكتابة عن سير المكرّمين على وجه العموم.

وللأمانة العلمية أقول : ان كل المعلومات الواردة في الكتاب استقرءتها من تراثه الفكري، ونتاجه المعرفي، ووثائقه الشخصية التي أعارني إياها مشكوراً مشفوعة ببعض الترجمات الخطية التي كتبها بقلمه، كما اعتمدت على إجاباته عن الأسئلة التي عنّت بخاطري والتي وجدت

لها إجابات في مكتوباته ومدوناته وهي مصادر لا يمكن الطعن بصحتـــها أو الشك في نسبتها مما يجعل الكتاب مصدر ثقة في التاريخ لهذا المفكـــر العربي المعروف.

ولا يسعني في الختام الا آن أزجي بشكري وتقديري له علـــى مـــا أبدى لي من رحابة صدر ، وسعة باع وبذل وقت من اجل إنجاح العمل.

والله الموفق لما فيه الصواب.

الفصل الأول
فجر الحياة

النبع :

في وثائقه الخاصة انه الدكتور سعدون بن لولاح الملقب سعدون حمادي ابن الحاج حمادي بن شميل بن اعوج بن سبتي بن شهيب بن حمد بن كركوش (وهو الذي تنتسب اليه العشيرة) ابن سلامة بن مسيلم ابن عبد الامير بن محمد بن رزاق بن عيسى بن سلطان. والكراكشة اسم فرع من عشيرة البو سلطان الزبيدية القحطانية. وتقول الوثيقة ان عشيرة الكراكشة تحركت من أراضي زبيد قبل قرنين من الزمان وسكنت أراضي المشورب التي تستسقي من جدول بني حسن المتفرع من نهر الفرات في سدة الهندية وهذا النهر يسقي مقاطعة المشورب الواقعة ضمن المقاطعات الزراعية التي تقع وسطاً بين سدة الهندية وكربلاء . وتزوج جده امرأة من تلك المنطقة.

ترك جده الحاج حمادي مقاطعة المشورب ورحل إلى سدة الهندية وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى نزح إلى مدينة كربلاء ليسكن فيها. وبقي اخواله الخمسة في المشورب ولا يزال أصغرهم حياً يرزق يعيش في تلك المقاطعة.

للمترجم له الدكتور سعدون عمّان هما نعمة (الكبير) ثم حبيب وقد توفيا .

فقد الدكتور سعدون والدته (عليّا) وهو طفل رعته زوجة أبيه الثانية وهي خالته التي تزوجها والده بعد وفاة المرحومة أم سعدون . يتذكر أمه قبل آن يدخل المدرسة الابتدائية ولكنه لا يحفظ صورة وجهها.

وبذلك يكون الدكتور سعدون عربياً زبيدياً قحطانيـــاً ينحـــدر مـــن اصول ريفية، عاش اجداده واباؤه من كدّ ايديهم وهم من سواد النـــاس لا من اغنيائه ولا من فقرائه .

يصفهم هو بقوله:

"انه لم يعرف منهم حكاماً أو اصحاب مناصب، كما لم يعرف عنـهم انهم من أصحاب الرذيلة ولا الجبن ولا أذى الاخرين . كانوا على العمـوم متّصفين بالخلق الحسن والشجاعة والاستقامة... ".

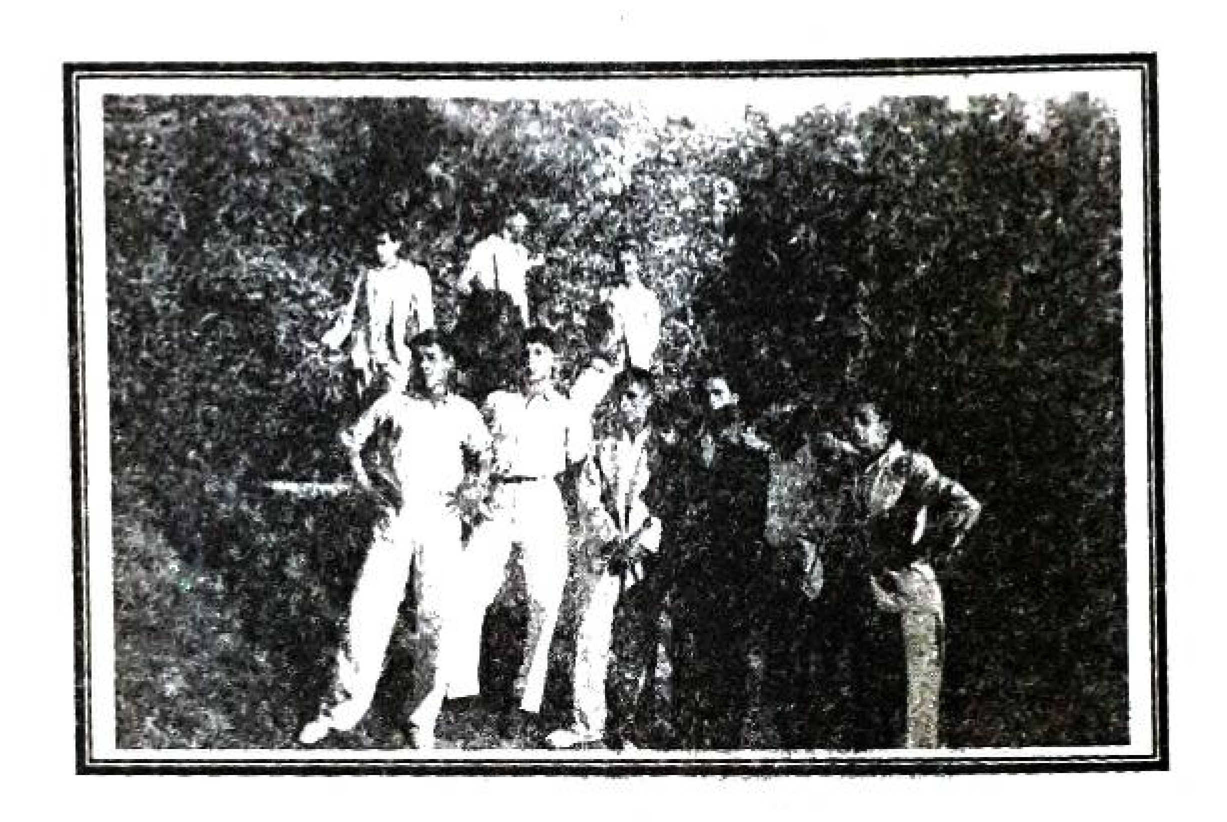
كان والده – رحمه الله – ذكياً بالفطرة متفتحاً على العصر مقـــدراً للعلم والثقافة يحفظ الأخبار ويتحدث بطلاوة يعيش لعائلته رقيـــق القلـب مستقيم التصرف متدينا يعرف مانهى الله تعالى عنه . ادركته – انا كـاتب السطور – وهو رجل يرتدي الكوفية والعقال ويقبع في دكان صغير يبيـع فيه الاقمشة في شارع الامام علي في كربلاء.

البواكير: –

نشا الدكتور سعدون حمادي في ظل تلك الأســرة التــي اشــتهرت وعرفت بين الناس باستقامة الأخلاق واحترام الفضيلة والتمســك بــالقيم العربية والإسلامية الأصيلة فلم تشذ عمّا تعارف عليه المجتمع العراقـــي عامة ومجتمع مدينة كربلاء بخاصة. كان بيتهم بيت فضـــل وشـــرف ، متمسك أفراده باهداب الدين وتعاليم الشريعة الغراء فكان لابـــد أن يتـــأثر الصبي بمحيط أسرته و يتأثر بأفكار أبيه الذي رعاه رعاية ابوية وربـــاه تربية صالحة فنشأ الصبي متأثرا بالبيئة الدينية التي وجهته ودفعتـــه لان يمارس الطقوس الدينية عن أيمان وتعلق وليس عن رياء.

اكمل الابتدائية في كربلاء وكانت المدرسة قريبة من سكنه في محلة باب الخان إحدى محلات كربلاء الشرقية، وقد حدثني معلمه في الابتدائية المرحوم السيد ذاكر بأنه كان طالبا هادئا مجداً دؤوباً منكبا على دروســه

مواضبا على الحضور لا يشاكس أحدا ولا يعترض على معلم فلم يتذكـــر معلمه عنه حادثة مخلّة بالسلوك أو النظام .



مع زملائه في الصف الثالث المتوسط في ١٩٤٦/٥/١٧ الاول من اليسار في الصف الاخير

اكمل الابتدائية في عام (١٩٤٢) ثم انتقل إلى الدراســة المتوســطة والثانوية في كربلاء أيضا وفي هذه المرحلة الدراسية دخل حياته الاهتمام بالأدب والثقافة وبتشجيع من مدرسه المرحوم الأستاذ محمد سماوي الــذي كان يدرسه مادة الاجتماعيات. قرأ شيئاً من الأدب العربي القديم وحفـــظ أشعارا منه وقرأ كتباً لطه حسين والمنفلوطي والرافعي ، وكان يقرأ كـــل ما يصدر من سلسلة إقرا وروايات جرجي زيدان، وتابع ما يصـــدر مـــن أعداد لمجلتي الرسالة المصرية للزيات والثقافة لاحمد امين التـــي كـــانت تصل تباعا إلى المكتبة المركزية العامة في كربــلاء. اعجـــب بالشـــاعر

الرصافي اكثر من غيره من الشعراء المعروفين آنذاك باعتباره وطنيا وقد كتب عنه مقالا يشبه البحث وكانت بواكير كتاباته واشترك في تحرير النشرات الجدارية الشهرية التي كانت تعلق في اللوحة المخصصة لها في المدرسة، وسعى إلى تاسيس ناد للطلبة واصبح المسؤول عن مكتبة النادي المتواضعة فقرأ كل ماتضمه خزانتها الوحيدة من كتب وسلاسل قصصية ومجلات بعضها قديم ولشدة ولعه بالشعر العربي كان يحفظ الكثير منه ويستظهره امام الطلاب في المدرسة. ومما يتذكره انه استظهر قصيدة الجواهري في رثاء اخيه جعفر الذي استشهد في الوثبة وكانت له بدايات متواضعة ومحاولات بسيطة لم تكتمل في نظم الشعر الذي عشقه منذ بدأ يقرأ الشعر والادب. كان يقضي كل أوقاته في مراجعة دروسه والمذاكرة مع زملائه مما نال إعجاب أساتذته الذين شجعوه على المضي في هذا المسعى العلمي وتنبؤا له بمستقبل زاهر . كما انه هوى الرسم والتشكيل وله محاولات جيدة فكان يهوى زيارة المتاحف والاطلاع على المعارض التشكيلية في الداخل والخارج فحيثما كان يسافر يأسره جمال الطبيعة، ويعبر عن ذلك بقوله: "أنني احب مناظر الطبيعة فحيثما أسافر برا حتى جوا فلا بد آن يبقى نظري مركزا على جمال الطبيعة الذي نمر عليه في حين ينشغل الآخرون بالحديث أو بأي شي آخر ......" .

كان في أول امره متأثرا بما قرأ، يميل للكتابات الإسلامية ويتذكر انه مرة جرى له نقاش في المرحلة الإعدادية مع بعض الطلبة فانحاز إلى دعاة الوحدة الإسلامية وناهض دعاة الوحدة العربية من الطلبة. في هذه المرحلة وربما بسبب المحيط الديني الذي نشأ فيه في كربلاء تعرض للتثقيف الديني المنبري المعروف حينما كان يحضر المجالس الحسينية وهو لا يعرف ماذا كان تأثير ذلك على تفكيره ومسيرته غير انه تعرض له.

وكانت تلك المرحلة خاصة قبيل التخرج في الإعدادية وهي مرحلة ظهور الصراع بين الميول القومية والميول الماركسية في العراق. في هذه السنة (١٩٤٨) اغتصب الصهاينة فلسطين وطرحت معاهدة بورتسموث وكانت الوثبة الوطنية ففي ظل تلك الأحداث العصيبة التي تركت أثرا في تفكيره واتجاهاته السياسية ، ترسخ ميله للعروبة واعتناقه الفكر القومي، ونبذه للاستعمار والحكام الرجعيين في العراق والوطن العربي. وكان لحزب الاستقلال ذي الاتجاه القومي تأثير في بلورة فكره القومي ، بيد انه ظل مؤيدا لهذا الحزب وليس عضوا فيه.

اكتوى بمرارة الصراع القائم آنذاك بين العناصر القومية والشيوعيين خاصة، فأيد العروبة وانحاز لمبادئها بعد أن رأى القوى الشيوعية تقف إلى جانب الصهيونية وتدافع عن اليهود والكيان الصهيوني وموقف تلك العصبة من إرسال الجيش العراقي إلى فلسطين، فتكونت النواة الأولى لتبني الفكر القومي طريقا آمن به وعمل من اجل تحقيق الأهداف القومية للامة العربية.

الفصل الثاني
الطالب في بيروت

قوالب التفكير :-

بعد إكماله المرحلة الثانوية عام ١٩٤٨، استطاع ان يحصل على بعثة علمية حكومية ليدرس في الجامعة الأمريكية في بيروت التي كانت نقله نوعية في حياته حيث وجد في بيروت متنفسا واسعا للتعبير عن الرأي .. وحرية لم يألفها في بلده آنذاك . فانتظم الطالب القادم من العراق في صفوف الدراسة وهو يحمل بذور فكر قومي من بلده ، وتأمل الجو السياسي السائد في الجامعة وإذا به يفاجأ بان الطلبة تتنازعهم أهواء سياسية مختلفة منهم الشيوعي ومنهم من الأخوان المسلمين ولكن الشيوعيين لهم الكفة الراجحة وقد ازداد نفوذهم ونشاطهم عندما رفدت الحكومة العراقية بطلبة جدد ومبعوثين من بغداد حيث كان اغلبهم يميل او يؤيد الحزب الشيوعي ، كما كان للحزب القومي السوري مؤيدون . وظل الطالب سعدون حمادي منصرفا إلى دروسه متأملا الوضع السياسي العلم في الجامعة ، تيار شيوعي ، وتيار يميني ، وأفكار قومية تدور في ذهنه آمن بها ودرسها عن كثب قبل ان يحط رحاله في بيروت. صراع عنيف بين الاتجاه القومي والاتجاه الشيوعي، آثر ان يلتزم الخط القومي. وعند اجتيازه الصف الأول إلى الصف الثاني لم يجد صعوبة في الانتماء لحزب البعث العربي الاشتراكي حينما اخبره زميله الدكتور حمد دلي الكربولي الذي كان يسكن معه في غرفة واحدة بالقسم الداخلي بان شابا اسمه حسلم الدين اللحام قد حمل نسخة من دستور حزب البعث العربي - هكذا كان اسمه آنذاك- وقد قرأ الدكتور حمادي ذلك الكراس واعجب به لانه يتضمن فكرا قوميا وحدويا اشتراكيا ووافق على الانتماء للحزب.



في المرحلة الاولى من دراسته في الجامعة الامريكية -ببيروت
١٩٤٨-١٩٤٩

ويواصل حمادي الحديث: "وذهبنا - هو والكربولي - بعد ايام وادينا القسم واصبحت عضوا في الحزب وكان ذلك في النصف الثاني من عام ١٩٤٩ . وفي بداية السنة الدراسية وكان المسؤول الحزبي للفرقة الحزبية الدكتور جمال الشاعر ..." .

وفي الصف الثاني كان درس الفلسفة إلزاميا فقد ترك أثرا في تفكيره خاصة وهو لم يدرس الفلسفة ولم يكن له بها عهد من قبل فتأثر الطالب حمادي بديكارت في طريقة التوصل للحقيقة ، وقرا (بيكون) وآراءه في الاوهام التي تعترض تفكير الإنسان. وكان ذلك في أول عهده بالفكر الفلسفي الذي رسم له الطريق المستقبلي كيف يفكر ويستنتج والطريق الصحيح الذي يسلكه. وافادته تلك الدراسة الأولية في الفلسفة إلى

التوسع فيها عندما انخرط في الدراسات العليا في جامعة وسكانسن فيما بعد.

كان عدد البعثيين المنتمين للحزب في الجامعة الأمريكية قليلا ولكنهم كانوا كتلة نشاط وفاعلية يتوفر فيهم الاندفاع الذاتي والحماسة الطوعية.

يواصل الدكتور حمادي حديثه ومن خلال وثائقه الشخصية: "كان نشاطهم يبدو اكبر من عددهم خاصة كان هناك جو يتوفر فيه شيئ من الحرية الفكرية والعمل السياسي. وكنا في تنظيم الجامعة الأمريكية في بيروت نقوم بالمبادرات دونما موافقات من القيادة في دمشق وكانت العلاقة إنسانية مباشرة خالية من التعقيد الاداري فنتخذ المواقف ونقوم بالنشاط و بناء على التوجيه العام وليس اعتمادا على أوامر محددة او موافقات خطية . وكان الكراس الصغير يؤدي مفعوله الكبير مقارنة بالمطبوعات الواسعة التي عرفناها فيما بعد ..... ".

النواة الأولى :

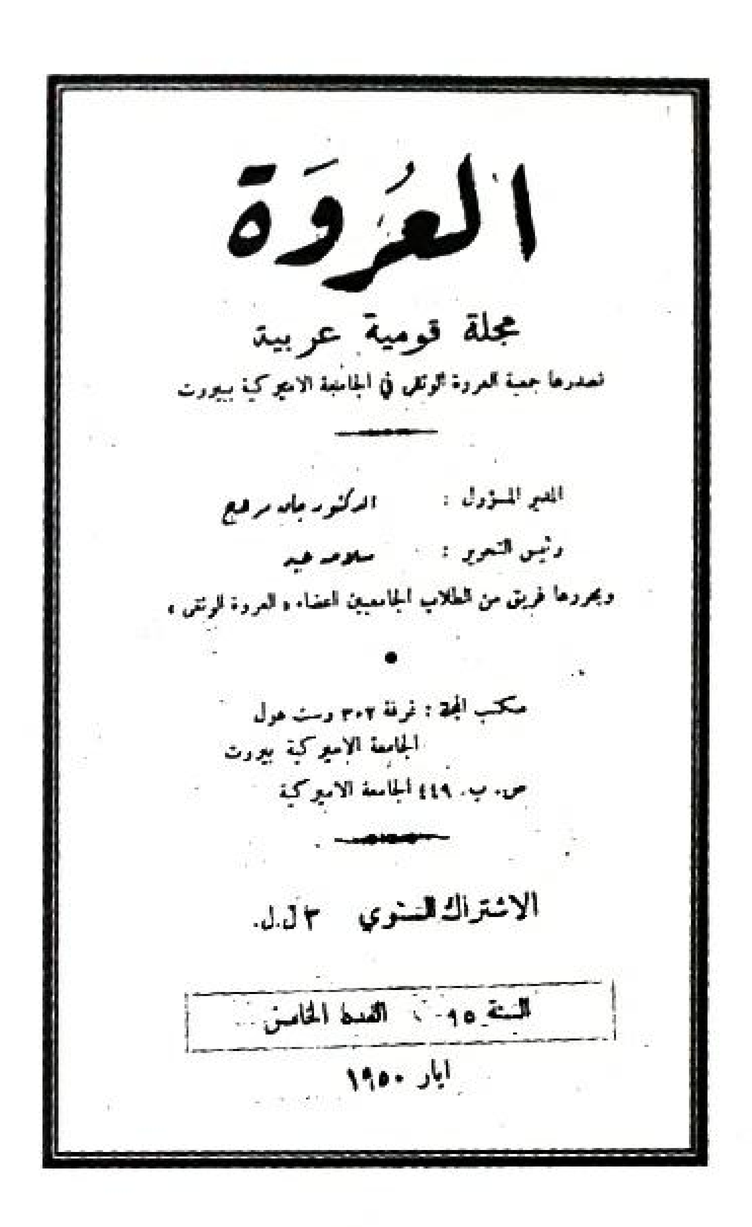
وعند حلول العطلة الصيفية من كل عام كان الطالب سعدون في بيروت يعود إلى بلده وهو يحمل أفكار حزب البعث العربي الاشتراكي ناقلا إياها الى معارفه واصدقائه في كربلاء حيث تأسست أول نواة للحزب جراء ذلك ونقطة البداية كانت اشتراك مكتبة الزهراء لصاحبها جاسم الكلكاوي بعشرة أعداد من جريدة البعث الأسبوعية القادمة من دمشق حيث لعبت تلك الأعداد المليئة بالدراسات والمقالات دورا هاما في دخول أفكار الحزب الى مدينة كربلاء وكانت صفحاتها الـ ٢٤ غنية بالمقالات والتوجيهات والبحوث. ضم التنظيم الأول كلا من : المحامي جواد أبو الحب ، وعبد الرزاق الوكيل وحسن هادي الصواف وخليل عبد آل تاجر وكان التنظيم في البداية صغيرا واخذ ينمو في السنة الأولى وفي

السنة الثانية – كما يروي الدكتور حمادي – في صيف ١٩٤٩ و ١٩٥٠ اخذ التنظيم يجابه الحزب الشيوعي والجماعات التي كان يطلق عليها (الاخوان المسلمون) وكان الدكتور حمادي يتصل بالتنظيم في بغداد الذي كان في بدايته عام ١٩٥٠ ويذكر بعض الأسماء ممن كان يتصل بهم منهم فؤاد الركابي وعلي صالح السعدي وخالد علي الصالح وحازم جواد وشخص من الرمادي لا يتذكر اسمه يسكن الان سوريا مستقرا في دمشق ولديه مكتبة ويصفه بأنه عنصر طيب.

ثم يعود الطالب مغادرا وطنه إلى بيروت حيث بدأت التدريسات في الجامعة الأمريكية ويطل عليه عام جديد ويعيش الصراع السياسي من جديد.

الاتجاه القومي العربي الذي كان البعثيون يؤلفون ابرز فئاته عددا وتنظيما وهو الذي يمثل الاتجاه القومي التقدمي وكانت جريدة (البعث) هي مصدر الثقافة بشكلها الأسبوعي الملئ بالمقالات والدراسات .

يقول الدكتور حمادي: "وكان الأستاذ ميشيل عفلق يكتب فيها آنذاك". وكان الصراع بين القوميين العرب والشيوعيين يحتدم بالدرجة الاولى حول السيطرة على جمعية العروة الوثقى، تلك الجمعية القديمة القومية الاتجاه وكانت تصدر مجلة جيدة اسمها (العروة) ولها نشاط واسع بين الطلبة. وقد أنتخبت عضوا في الهيئة الإدارية بضمن القائمة القومية واصبحت رئيسا لتحرير المجلة سنة (١٩٥١ -١٩٥٢) ".



العروة

مجلة قومية عربية

تصدرها جمعية العروة الوثقى في الجامعة الاميركية ببيروت

المدير المسؤول : الدكتور [illegible]

رئيس التحرير : [illegible]

ويحررها فريق من الطلاب الجامعيين اعضاء « العروة الوثقى »

مكتب المجلة : غرفة ٣٠٢ وست هول
الجامعة الاميركية بيروت
ص. ب. ٤٤٩ الجامعة الاميركية

الاشتراك السنوي ٣ ل.ل.

السنة ٥٠-٩٥ العدد الخامس

ايار ١٩٥٠

مجلة (العروة)

استطاع الدكتور حمادي أن ينشر فيها عددا من المقالات في موضوعات سياسية قومية واجتماعية واقتصادية. وبدا التنظيم يتوسع الى خارج الجامعة خلال السنة الثالثة من سني دراسته فيها واصبح مسؤول قيادة شعبة وكان معه من القياديين البعثيين المعروفين آنذاك، جمال

الشاعر ، ومحمد عطا الله ، وتوفيق الشخاشير من الأردن. وكان هــولاء هم من بقيت أسماؤهم عالقة في ذهنه.

ومن الجدير بالذكر ان جمعية العروة الوثقى كانت قد دعت الأستاذ صدقي اسماعيل ، ووهيب الغانم لالقاء بعــض المحــاضرات السياسـية القومية كما دعي الأستاذ ميشيل عفلـــق لحضـور بعـض مـن تلـك المحاضرات حيث كان يأتي إلى بيروت من دمشق ليلقي أحــاديث فـي منظمة الحزب وكان يصاحبه الأستاذ صلاح الدين البيطار.

أحداث السنة الأخيرة في الجامعة:-

وفي السنة الأخيرة من دراسته في الجامعــة الأمريكيــة اصبـح المسؤول عن كل التنظيم البعثي في لبنان وكان بمستوى شعبة وعقد مــع رفاقه أول اجتماع لمسؤولي المناطق بشكل مؤتمر قطري وكان الاجتماع في البيت الذي استأجر غرفة فيه كان يسكن فيها.

يقول الدكتور حمادي "وقد توسع التنظيم الحزبي في السنة الأخـيرة من دراستي في الجامعة وامتد الى شمال لبنان وجنوبه وقد أقمنا احتفــالا في صيدا بمناسبة ذكرى السادس من ايار وهو اليوم الذي نصب فيه جمال باشا السفاح المشانق لاعدام نخبة من المواطنين الأحرار عام ١٩١٦ فـي دمشق وبيروت وقد حضرت وفود الحزب من المناطق وكان ذلــك اول ظهور سياسي للحزب في لبنان . وكان أديب الشيشكلي قد استولى علــى السلطة في سوريا واضطهد الحزب فاصدرنــا بيانــا ضــده قمـت أنــا والمرحوم الرفيق حمد دلي الكربولي بلصقه على الجدران فألقت الشـرطة القبض علينا وتم توقيفي عدة أيام وقد حكمت علي غيابيا بالسجن لمدة ستة اشهر وبقي اسمي في السجلات على الحدود مدة طويلة ألا أنني تخرجـت في الجامعة واستطعت مغادرة لبنان ... ".

عن هذه السنة الحافلة بالنشاط في كل شئ يقول الدكتــور حمــادي "توتر الجو بين إدارة الجامعة وجمعية العروة الوثقــى فحلـت الجمعيـة

وكذلك بين الإدارة واتحاد الطلاب فقامت بحله وكـــان رئيـس الجامعـة أمريكيا قيل انه كان يعمل في المخابرات الأمريكية ، وقـــامت تظـاهرة اصطدمت بالشرطة في الجامعة وقد جرى توقيفي مع عدد مـــن الطلبـة وكان معنا الدكتور جورج حبش فاضربت الجامعة وضجـت الصحافـة اللبنانية ووصل الأمر إلى مجلس النواب وقد صدر قـرار فصلنـا مـن الجامعة وكنت طالب بعثة في السنة الأخيرة وبسبب الضجة التي أثارتـها الصحافة اضطرت الجامعة إلى إلغاء قرار فصلنا واطلق سراحنا ورجعنا إلى مقاعد الدراسة وهكذا تم إنقاذ وضعي بوصفي طالب بعثة ، جرى كل ذلك في النصف الثاني من السنة الأخيرة لدراستي وكان للملحق الثقـافي العراقي في بيروت دور إيجابي بعدم اتخاذ إجـراء ضـدي فـي وزارة المعارف العراقية التي أرسلتني في بعثة إلى بيروت ...".

ثمار التجربة الأولى :-

تركت السنوات التي قضاها طالبا في الجامعة الأمريكية بـبـيروت ذكريات لن تنسى عبر عنها بالقول ((... كانت سنوات بدايـة الاطـلاع على ما هو خارج مسقط رأسي كربلاء وخارج العراق رأيت بلدا عربيـا جديدا واتصلت بعرب من خارج العراق هم الطلبة الدارسون القادمون من مختلف الأقطار العربية وفيها تبلور تفكيري السياسي واستقر في الاتجـاه القومي التقدمي وبدأت نشاطا كنت فيه المسؤول الأول لاول مـرة كمـا كانت تلك الفرصة هي المجال لرؤية شئ من جمال الطبيعة فشهدت منظر الجبال والثلوج لاول مرة وعشت في محيط جامعي غير ما اعتدنا عليـه فهو محيط مختلط توجد فيه المرأة وهو أمر شـهدته بانفعـال فتفتحـت مشاعر الشباب في نفسي ومررت بأول تجربة حب وربما أقوى تجربـة شهدتها. كما أنها كانت السبب الأول في تكوين صداقـات وعلاقـات لا يزال الكثير منها قائما وراسخا حتى الان لقد كانت حقا تجربة غنية....".

الفصل الثالث
الصاعد

المدرس في ثانوية النجف :-

بعد إكماله الدراسة في الجامعة الأمريكية وحصوله على شـــهادة البكالوريوس في إدارة الأعمال (١٩٥٢) عاد إلى وطنه فعين بوظيفـــة مدرس في إعدادية النجف واستمر فيها سنة دراســـية واحـــدة (١٩٥٢-١٩٥٣) .

يصف الدكتور حمادي حياته في النجف مدرسا قائلا ((سكنت مـــع عدد من المدرسين في بيت متواضع وبغرفة ذات سقف منخفض وفـــراش على الأرض . كنت أمارس نشاطي في الحزب عن طريقي فأنا بصفتـــي عضوا في المكتب الثقافي في بغداد كنت اذهب الى هناك كلمـــا ســـنحت الفرصة وكان معنا في المكتب كريم شنتاف ، وفيصل حبيب الخـــيزران وكنت اذهب الى الكوفة كل يوم خميس للاجتماع مع عدد من الناس مـــن الكسبة بواسطة شخص بزاز (بائع قماش) لا أتذكر اسمه يرتدي الـــزي الشعبي إلا انه مسيس وكنت اجلب له الكراسات و أعداد جريدة البعـــث . كنت اجتمع بهولاء الناس أسبوعيا في بيت صـــاحب حـــانوت القمـــاش (البزاز) وحدثت في تلك الأيام التظاهرات ضد وزارة مصطفى العمـــري من اجل مطلب الانتخابات المباشرة واصطـــدم المتظـــاهرون بالشـــرطة وحدث إضراب في إعدادية النجف ضد مديرها القومي الاتجاه المرحـــوم شاكر الجودي وكانت النجف ناشطة في التظاهرات إلا أنني لم ادخل في اي نشاط علني من هذا النوع لكي لا ينكشف أمري بل كنت أقوم بـــالعمل سرا . كنت حريصا على التثقيف أثناء الدروس التي القيها علـــى الطلبـــة باتجاه القومية والتقدمية، تعرفت على عدد من المدرسين في تلـــك الســـنة وتوثقت علاقتي ببعضهم....)) .

الاجتماع ضد الشيشكلي :-

وخلال تلك السنة التي قضاها في النجـف مدرسا كـان اديـب الشيشكلي لا يزال يحكم سوريا .

يقول الدكتور حمادي ((... قام تنظيمنا في بغداد بفعالية احتجاجيـة هي إصدار بيان ضده فعهد إلي بكتابة البيان فكتبته وتم الاتفاق علـى ان يقوم عدد من الأعضاء بالذهاب إلى السفارة السورية فـي بغـداد سـرا ويدخلوها بصورة فجائية ويهتفوا ضد الشيشكلي ويحدثـوا ضجـة فـي السفارة ثم ينسحبوا منها قبل ان تستطيع السفارة الاتصال بالشرطة وهكذا نفذت العملية بنجاح .... وتم في هذه المرحلة شراء آلة طباعـة بشـكل رونيو بالاشتراك مع السيد شمسي الكاظم الذي كان عضو قيـادة آنـذاك وتمت عملية الشراء من قبلنا من دكان في الكرخ نقلنا الرونيو إلى بيـت فؤاد الركابي وتم طبع العدد الأول في هذا الجهاز لجريدة الحزب السرية وصدر تحت اسم "العربي الجديد " الذي تحول الاسم فيما بعد إلـى اسـم الاشتراكي وكان المكتب الثقافي الذي ترأسته فيما بعـد يحـرر الجـزء الأعظم من تلك النشرة – وكان الدكتور حمادي عضوا فيه ورئيسـا لـه ومعه الرفيق كريم شنتاف آنذاك – هذا ماكتبه الدكتور حمـادي نفسـه – ويستمر في الحديث عن هذه المرحلة فيقول : ((وفي هذه المرحلة قمـت بجمع عدد من مقالات الأستاذ ميشيل عفلق وطبعتها بكراس تحت اسـم في سبيل البعث الذي تطور فيما بعد عبر عدد من الطبعات حتى وصـل الطبعة الحالية....)) .

مرحلة الدراسة العليا :

بعد ما قضى سنة دراسية واحدة في إعدادية النجف مدرسـا لمـادة الاقتصاد أعلنت وزارة المعارف عن بعثات دراسية إلى الخـارج لنيـل

الماجستير والدكتوراه فتقدم بطلب إلى الوزارة وتم قبوله لتوافر الشـروط فيه وشد الرحال إلى أمريكا ليدرس في جامعة ويسكانسن .

وفي الجامعة يبدا الدكتور سعدون حياة عمل حزبية ودراسية يقـول عنها: ((لم يكن اي توجيه حزبي للعمل التنظيمي لذلك كتبت إلى الأسـتاذ ميشيل عفلق اعرض عليه تخويلي مسؤولية العمل الحزبي فحـدث ذلـك وبدأت اتعرف على البعثيين المنتشرين في الولايات المتحدة واكثرهم مـن سوريا وقد تم الاتصال بهم فرديا كان منهم وائـل درويـش المقـدادي ، وعدنان شومان ، وحسان مريود وغيرهم من السوريين واخـذت ارسـل اليهم رسائل بشكل نشرة داخلية اكتبها بخط اليد مـع نسـخ بالكـاربون واتسلم اشتراكاتهم وازودهم بالاخبار والتعليمـات وكنـا نجتمـع أثنـاء مؤتمرات جمعية الطلبة العرب ...)).

حضر مؤتمر جمعية الطلبة العرب وكانت نشيطة آنـذاك قبـل ان تمزقها الخلافات المعتادة على حد قول الدكتور حمادي- وكان ذلك فـي بولدر بولاية كولورادو ، وسعى إلى ان ينعقد المؤتمر العام القـادم فـي جامعة ويسكانسن . وفي المؤتمر انتخب عضوا في الهيئة الإدارية والقـى محاضرة في المؤتمر حدد فيها سمات القومية العربية نشرتها مجلة الاداب البيروتية في العدد الأول من السنة الثالثة ١٩٥٥ بعنوان: القومية العربية: مشكلة وحلا واسلوبا وهي تمثل تطوره الفكري وقـد ضمـها الدكتـور حمادي نفسه بعد ذلك في كتاب اصدره بعنوان : تجديـد الحديـث عـن القومية العربية وقد اصبحت مادة ثقافية متداولة في الحزب فيما بعد.

وقد انتخب رئيسا لجمعية الطلبة العرب في جامعة وسكانسن التـي كانت في الاصل جمعية اسسها الطلبة الباكستانيون باسم : جمعية الثقافـة الإسلامية استطاع هو وجماعته من ان يحولوها إلى جمعية للطلبة العرب.

في أمريكا ترسخ شعوره القومي عندما شاهد مظاهر التعلق القومي عند الامريكان والتعبئة في هذا الاتجاه وماتقوم به الصهيونية هناك مـن نشاط معاد للعرب فاستقر رايه على ان الوحدة العربية هي الـهدف الأول

وان كانت هناك اهداف اخرى إلا أنها لاترقى لهذا الهدف الذي يجب ان ينصب عليه اهتمام العرب.

في جامعة ويسكانسن تطور اهتمامه بالفكر والفلسفة فقد اختار الفكر السياسي موضوعا ثانيا لدراسته التي كانت الاقتصاد الزراعي وهو درس يمتد سنة كاملة اخذه مع طلبة الدكتوراه للعلوم السياسية ودرس الفكر السياسي من سقراط إلى العصر الحديث.

وفي هذه المرحلة اتضحت ميوله الفلسفية بعد ان درس تاريخ الفكر السياسي الذي كان مصدرا لاطلاعه على مدارس الفكر عموما وان كان ذلك مشدودا إلى القضية المركزية في الفكر السياسي وهي نشوء الدولة وطبيعتها.

يقول: ((تعمدت ان احضر مستمعا لبعض الدروس في الفلسفة بالرغم من أنها لم تكن مطلوبة لدراستي . ان ذلك اثر في تفكيري اذ تطور هذا الاهتمام وبقي معي حتى الان . أنني اشعر بان لي افكارا محددة في موضوع تفسير ماحولنا وتحليل الطبيعة البشرية ، ولعل اهم قضية جلبت انتباهي في هذا المجال هي كيف يحصل التطور الاجتماعي عبر التاريخ ؟ كيف تحصل النهضة عند الامم وربما كان ذلك بسبب شعوري القومي العميق ......)) .

قضى اربع سنوات(١٩٥٣-١٩٥٧)في الجامعة، اكمل فيه الماجستير والدكتوراه بمدة قياسية حيث كان يستغل العطلة الصيفية ليدرس ويراجع ويكتب حتى اكمل متطلبات دراسته باربع سنوات ، كانت رسالة الماجستير بعنوان : نظم استغلال الأرض الزراعية – دراسة مقارنة – ولم تنشر للان.

اما اطروحة الدكتوراه فكانت بعنوان : انشاء ضريبة على الأرض الزراعية في العراق ، لم تنشر أيضا. يعبر بنفسه عن تلك الحقبة من حياته في الولايات المتحدة وفي رحاب جامعته التي تخرج فيها وكانت اقامته في الولايات المتحدة غنية فقد مارس العمل القومي بكل قواه وتفتح تفكيره بالمعرفة التي استقاها من ذلك الوسط الجامعي والدراسة الجادة .

يقول : ((خلال سنوات دراستي في أمريكا كنت اهتم بامرين : دراستي والعمل السياسي القومي ومحوره بالطبع هو مقارعة النشاط الصهيوني)) فلم يقف متفرجا بل العكس كان هذا النشاط المعادي للعرب والعروبة قد جعل من الدكتور حمادي اكثر صلابة وتمسكا بالقومية العربية وفضح الاساليب العدوانية واحباط المخططات التي تبغي النيل من وجودنا القومي والحط من حضارتنا السامقة ، وكانت افكاره تلك يبثها في المحافل الطلابية العربية خلال عقد المؤتمرات السنوية والمحاضرات التي يلقيها أو في مناقشاته مع زملائه في الجامعة .

((لقد كانت سنوات جميلة وممتعة وغنية .... كانت الطبيعة قاسية البرد شتاء ورائعة الجمال صيفا إلا أنني لم اكن اتضايق من قساوة المناخ...)) .

وخلال تلك السنوات استطاع ان يتعرف على عدد من الشباب العرب ودامت صداقته ببعضهم حتى اليوم . من اولئك الاصدقاء الدكتور بشير الداعوق الذي انتمى في ما بعد لحزب البعث العربي الاشتراكي بدعوه من الدكتور حمادي له .

الفصل الرابع
الفجر الجديد

العائد إلى الوطن :

بعد إكماله الدراسة العليا وحصوله على شهادة الدكتوراه في الاقتصاد الزراعي من جامعة ويسكانسن عاد إلى العراق صيف عام ١٩٥٧ وانتظم مدرسا في كلية الزراعة في منطقة ابي غريب ببغداد يدرس طلابه في قسم الاقتصاد الزراعي يعاونه زميله في الجامعة التي تخرج فيها وصديقه الذي سبقه في التخرج بعام واحد وهو الدكتور عبد الصاحب العلوان والذي كان رئيسا لقسم الاقتصاد الزراعي في الكلية نفسها.

يسجل الدكتور حمادي ذكرياته عن هذه الحقبة من حياته فيقول : "سكنت بيتا كبيرا في الحي السكني في الكلية نفسها بايجار خمسة دنانير شهريا كان يستقطع من راتبي الذي كان خمسين دينارا فسكنت هناك وحصلت على وجبتي الغداء والعشاء من مطعم القسم الداخلي لقاء عمل الاشراف الذي كنت أقوم به يوما أو يومين في الاسبوع . ولم يكن لدي اثاث ولا واسطة نقل وبدات بالبسيط ولا انسى أنني عندما كنت اذهب إلى بغداد بحافلة نقل الركاب واتاخر في الليل ارجع للكلية باحدى سيارات نقل المواد الانشائية التي كان سائقوها يتخذون إحدى مقاهي الصالحية مكان استراحتهم".

كان يشعر بفراغ ثقافي وهو العائد الذي يحمل عقيدة سياسية نمت واكتملت على عكس ما الفه في جامعته التي تخرج فيها في الولايات المتحدة حيث النشاط في كل مرفق من مرافق الحياة .

بدا يفكر بملء الفراغ فحاول تاليف جمعية ثقافية بعدما اتصل بعدد من البعثيين وغير البعثيين من المثقفين والادباء وتحققت فكرته فتألفت الجمعية السرية الثقافية وكان اجتماع اعضائها في بيته بمجمع الاساتذة في

ابي غريب وبعض الاحيان كان الاجتماع يعقد في بيت من بيوت اعضاء الجمعية وكان الهدف نشر تفكير الحزب بين النخبة من المثقفين . كان ضمن المشتركين الشاعر علي الحلي والاستاذ محمد جاسم الامين والاستاذ طارق عزيز وغيرهم وكانت المناقشات حية ومسرة .

ويذكر الدكتور سعدون حمادي : ان باكورة عملنا في الجمعية الثقافية طبع ديوان شعر لعلي الحلي باسم (انسان الجزائر) . استمرت النقاشات خلال الاجتماعات المتوالية سنة كاملة حتى الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ حيث كانت الجمعية السرية هي الرافد الذي امد جريدة الجمهورية بالمقالات المتنوعة -حسبما ذكر ذلك الدكتور حمادي نفسه-.

في شباط عام ١٩٥٨ وعند انبثاق الجمهورية العربية المتحدة وصدور قرار حل الحزب في سورية وحدوث البلبلة في تنظيمات الحزب الاخرى ومنها تنظيم العراق قررت القيادة آن يذهب الدكتور حمادي إلى دمشق لاستطلاع الأمر فسافر إلى دمشق عن طريق بيروت.

كتب الدكتور حمادي عن ذلك يقول : "ذهبت إلى دمشق وحضرت اجتماعا للقيادة حضره الاساتذة ميشيل عفلق ، وصلاح البيطار واكرم الحوراني واوضحت لهم مهمتي فحصل نقاش وكلام عام وانفض الاجتماع دون آن احصل على جواب محدد عن السوال الذي جئت من اجله وهو لماذا جرى حل الحزب في سورية ؟ .... " .

عاد إلى بغداد عن طريق مطار بيروت وجرى له ماجرى من توقيف بسبب حكم سابق صدر عليه في لبنان عندما كان طالبا في الجامعة الأمريكية .

ويعلق الدكتور حمادي على قرار حل الحزب بقوله : "لم يكن الجو في صفوف الحزب مؤيدا لقرار حل الحزب وقد جرى السكوت عنه لانه صادر من اعلى قيادة وثمنه الخطوة الوحدوية الأولى....".

ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨:-

في صباح الرابع عشر تموز من عام١٩٥٨ يستيقظ الدكتور سعدون من نومه صباحا وإذا بالمذيع من اذاعة بغداد يعلن نبا الثورة ويقرأ البيان الأول للثوار الذين اطاحوا بالنظام الملكي في العراق فيذهب إلى الغرفة التي كان قد اخفى فيها رفيقا حزبيا نقابيا اسمه الحركي عكار وهو عماد العزيز كان قد كلفه باخفائه المرحوم علي صالح السعدي ليخلصه من ملاحقات رجال الشرطة السرية في ذلك العهد فاخبره بأنه سيذهب إلى بغداد لمتابعة اخبار الثورة وقد حل ضيفا يومها عند صديق قديم له ليشاركه سماع البيانات وتلقي التعليمات .

جريدة الجمهورية :

يروي الدكتور حمادي ماجرى آنذاك قائلا : "وبعد يوم أو يومين من انبثاق الثورة اتتني سيارة جيب عسكرية ونقلتني بامر من حكومة الثورة إلى مقر جريدة الشعب التي كان يصدرها يحيى قاسم ، زمن العهد الملكي، ويقع مقر الجريدة في منطقة السنك ببغداد وتسلمت مهام عملي الجديد في الجريدة كرئيس للتحرير فيها واطلق عليها اسم : جريدة الجمهورية .

صدر العدد الأول منها في تلك الليلة (١٧ تموز١٩٥٨) وكتبت مقالها الافتتاحي الأول وبالتدريج تكوّن جهاز تحريرها من الرفاق واصبحت مكانا لالتقاء الجميع .... " .

كتب فيها رئيس التحرير الدكتور سعدون حمادي سبعة وسبعين مقالا افتتاحيا طيلة المدة التي شغلها في رئاسة التحرير والبالغة ١١٢ يوماً. جمع تلك المقالات في كتاب طبع فيما بعد سمّاه : في سبيل الجمهورية والوحدة العربية.

كانت تلك المقالات محاولة لتحليل اسباب الثورة وتحديد مهماتها على اساس ذلك التحليل وتلك الثقافة وبعضها عالج قضية الوحدة العربية

وعبر فيها عن الشعور القومي بينما انصب عدد منها على امور تتعلـــق بتثبيت اركان الثورة والتصدي لاعدائها في الداخل والخــــارج ومعالجــة القضايا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تواجهها .

وبعد اشتداد الخلاف بين عبد السلام عارف وعبد الكريم قاســم او بالاحرى بين القوى القومية كافة التي كانت تدعو للوحـــدة العربيـــة مــع الجمهورية العربية المتحدة من جهة وبين الشيوعيين والقوى التي تساندهم والتي كانت تدعو للاتحاد الفدرالي ، من جهة اخرى حدث مـــاحدث مــن تطورات رجحت فيها كفة العناصر المناوئة للوحدة العربية وبعد تطـــور الاوضاع في البلد وتشديد السلطات الخناق على كل ماهو قومي عربي تــم اخراجه من الجريدة وصدر أمر القاء القبض عليه ممـــا اضطـــره إلـــى الاختفاء وحين رأى آن الاجواء السياسية في العراق لم تعد تجـــري مــع التيار القومي وان مجاراتها عاد يشكل خطرا لا عليه شخصيا فقط بصفتـه واحدا من الذين يؤمنون باهداف القومية العربية . رأى أن مــن الاجـدى مغادرة العراق للعمل على تقويض نظام الحكم في العـــراق مــن خـــلال استقطاب القوميين العراقيين والعرب .

فشد الرحال إلى سورية سرا مستيعنا برفيق حزبي كان يشغل مديـر ناحية حصيبة (القائم) على حدود سوريا وبمساعدة كذلك مـــن بعـض الرفاق الحزبيين في الفلوجة عبر الفرات إلى البوكمال ومن هناك وصـل دمشق .

الفصل الخامس
التجربة النضالية

منذ آن انتمى إلى حزب البعث العربي الاشتراكي وهو طالب في الصف الثاني بالجامعة الأمريكية في بيروت بدا يندمج بفكر الحزب اندماجا تاما واخذ على عاتقه الاندماج في العمل الثقافي والدعوة لافكاره بين الطلبة .

يقول : "قرأت ادبيات الحزب بشغف وعناية واستوعبتها واخذت مهمة شرحها وايصالها للاخرين حتى اصبحت داعيتها الفكري في الوسط الطلابي وعند التخرج سمح لي استاذي الجليل المرحوم سعيد حمادة ان اكتب رسالتي عن الاشتراكية العربية وباللغة العربية خلافا للمعتاد وعلى اساسها كتبت نشرة بعنوان (الاشتراكية العربية – الجانب الاقتصادي –) شرحت فيها المواد الاقتصادية في دستور الحزب وقد بقيت هذه النشرة في التداول داخل الحزب مدة طويلة . وكان نشاطي في الحزب مزيجا من العمل التنظيمي والعمل الثقافي الذي شكل البداية الفعلية للاهتمام الثقافي العقائدي ..." .

وقد تركت الدراسة في الجامعة الأمريكية في نفسه اضافتين مهمتين لثقافته السابقة، تتمثل الأولى في تفكير حزب البعث العربي الاشتراكي حيث ترسخت نظرته القومية ، والثانية هي بداية اطلاعه على علم الاقتصاد بفضل دراسته التي كانت إدارة الأعمال والتي كان محتواها مزيجا من الاقتصاد والتجارة .

يعبر عن هذه المرحلة بقوله : في السنة التي تعينت فيها في ثانوية التجارة بالنجف للعام الدراسي (٥٢ – ٥٣) اصبحت عضوا في المكتب الثقافي للحزب ثم مسؤولا عن المكتب وقد تحدثنا عن ذلك سابقا .

فحرر في جريدة الحزب السرية (العربي الجديد) ثم الاشتراكي فيما بعد .

ونظرا لنشاطه واستيعابه لافكار الحزب اصبح المسؤول الأول عن التنظيم في جميع انحاء لبنان كما ذكرنا ذلك عند الحديث عن مرحلة الدراسة والتخرج في الجامعة الأمريكية وخلال العطلات الصيفية التي كان يأتي فيها لزيارة اهله في العراق وكيف جلب بعض الادبيات والجرائد وبذر البذرة الأولى في مدينته.

وعندما ارسل في بعثة لدراسة الاقتصاد الزراعي إلى الولايات المتحدة عام ١٩٥٣ تبلورت هناك افكاره السياسية بعد مطالعاته الكثيرة في الفلسفة والاقتصاد والفكر السياسي وسماعه لمحاضرات أساتذته في الجامعة ومناقشاته لهم اصبح اكثر نشاطا سياسيا من ذي قبل بسبب الدعوات المناهضة للعرب والنشاط الصهيوني المحموم ووسائل الإعلام المساندة لهم اصبح اكثر تعلقا بالفكر القومي واشد صلابة للدفاع عن قضايا العرب القومية وبدأ يتامل ويفكر ويناقش ويصارع الاعداء صراعا فكريا اثبت فيه جدارة وألمعية مشهودة وبدا ينشر مقالاته السياسية في الصحف العربية ويرسلها من الولايات المتحدة إلى بيروت وبدات مجلة الاداب تنشر له المقالات السياسية التي يعالج فيها قضايا الفكر القومي ومشكلاته واخذت شهرته كسياسي يافع تبشر بمستقبل زاهر لهذا الشاب القادم من العراق. وقد فصلنا ذلك في مكان اخر من الكتاب عند عودته إلى بغداد واكماله الدراسة ، وقبيل ثورة الرابع عشر من تموز كان الدكتور حمادي عضوا في القيادة القطرية بالعراق ومسؤولا عن الشؤون الثقافية وهو المسؤول عن الكثير مما نشر وظهر في النشرات الداخلية للحزب .

ولقد سجل دورا نضاليا بعد تسلمه مهام رئاسة تحرير جريدة الجمهورية اليومية التي صدر عددها الأول يوم ١٧ تموز ١٩٥٨

واستمرت حتى الخامس من تشرين الثاني (نوفمبر) من السنة نفسها . حرر فيها المقالات الافتتاحية وهو حديث عهد بذلك حتى بلغت كما قلنا سبعة وسبعين مقالا خلال ١١٢ يوما كلها معالجات وأفكار وتساؤلات وحلول واستنتاجات سياسية بالمنظار القومي الوحدوي . جمعت تلك المقالات في كتاب مستقل مطبوع .

عودة الى الاغتراب : -

في سوريا ولبنان (١٩٥٩-١٩٦٠)

بعد تازم الاوضاع السياسية في العراق وغلق جريدة الجمهورية وانحسار المد القومي، وتسلط الشيوعيين في العراق وهيمنتهم على مرافق الدولة قرر الدكتور سعدون نقل نشاطه الحزبي إلى سوريا التي كانت اقليما شماليا للجمهورية العربية المتحدة وكان الحزب قد حل نفسه في تلك المرحلة .

عمل الدكتور حمادي وبقيادة الأستاذ ميشيل عفلق على اعادة تنظيم الحزب خارج الجمهورية العربية المتحدة وذلك بالتحضير لمؤتمر قومي وبوصفه عضوا في المكتب التنفيذي الذي اختاره ممثلون لمنظمات الحزب القومية من اجل التحضير لذلك المؤتمر.

يقول الدكتور حمادي : ((... انحصر نشاطي في كتابة النشرات الداخلية وفي نطاق التحضير للمؤتمر كانت هناك اربعة تقارير كتبت ثلاثة منها وقدمت للمؤتمر ولعل اهمها التقرير عن عقيدة الحزب والاخر عن وحدة الحزب ...)) . وتم انتخاب قيادة قومية جديدة فلم يرشح نفسه لعضويتها حفاظا على الوحدة . وقد كان في هذه المرحلة ملازما الرفيق ميشيل عفلق وتوطدت العلاقة الشخصية بينهما وعرف الكثير من التفاصيل الحياتية واراء القائد المؤسس .

جريدة (الصحافة) في بيروت : -

بعد انتهاء المؤتمر بدأت مرحلة جريدة الصحافة في بيروت وبعد اتخاذ بيروت مقرا للقيادة القومية حيث تركز النشاط هناك .

استطاع الدكتور حمادي آن يكتب الكثير من المقالات السياسية على صفحات هذه الجريدة. وفي هذه المرحلة أسس الدكتور بشير الداعوق دار الطليعة للنشر ووضعها في خدمة الحزب وعموم حركة النهضة العربية وتبعها إصدار مجلة دراسات عربية وكان الدكتور حمادي مساهما في فكرة تاسيسها وقد نشر في تلك المجلة ابحاثا سياسية وفكرية كثيرة .

كتاب نضال البعث : .

ولما فكر الدكتور الداعوق بجمع بيانات حزب البعث العربي الاشتراكي بصفتها سجلا تاريخيا لمواقفه ، واصدار كتاب يحمل اسم : نضال البعث . كان للدكتور سعدون دور في إصدار الكتاب وجمع البيانات الأولى التي لم تكن متيسرة او بحكم المفقودة .

يقول الدكتور سعدون : ((كانت العقبة في إصدار الكتاب هي ان المرحلة الأولى من التاسيس في سورية لم تكن المادة متوفرة عنها فالبيانات السياسية والمواقف المدونة غير متوفرة . وقد سمعت آن الرفيق المرحوم جلال فاروق الشريف قد جمع النسخ من البيانات الأولى ويحتفظ بها عنده كوثائق تاريخية فتطوعت للاتصال به واقناعه باعارتها لنا من اجل مراجعتها والاطلاع عليها .

فذهبت إلى بيته في دمشق وتحدثت معه عن ذلك، وبعد اخذ ورد وافق على اعارتها لنا فنقلتها إلى بيروت وهناك قمنا بدراستها وتحقيقها ومنها تم طبع الجزء الأول من هذا الكتاب المهم الذي صدر منه حتى الان ثلاثة عشر جزءا وكان الجزء الأول هذا من دون شك اهمها

واصعبها . ولولا القيام بهذا العمل لكان من الممكن عـــدم ظـــهور تلـــك الوثائق للنور .

في المغرب العربي : –

أثناء الاقامة لاجئا في دمشق عام (١٩٥٩) اختاره حزب البعـــث العربي الاشتراكي ممثلا عنه لحضور الاحتفال الذي اقامـــه فـــي الـــدار البيضاء الاتحاد المغربي للشغل بمناسبة الأول من ايار شارك في الاحتفال مع رفيق يدعى عاطف دانيال ، وحضرت الاحتفال وفود عربيـــة كثـــيرة تمثل الاحزاب القومية والوطنية وشـــخصيات وطنيـــة مغربيـــة نقابيـــة وسياسية.

زار مقر الاتحاد المغربي للشغل ويسمى شعبيا عندهم (بورصـــة الشغل) واستقبله المحجوب بن الصديق وتعرف خلال هذه الزيارة علـــى قادة الحركة الوطنية في المغرب كالمهدي بن بركة وعبد الرحمن اليوسفي ومحمد البصيري وفي إحدى الدعوات التكريمية قرأ الرفيق عاطف دانيال – رفيقه في الدعوة – كراس ذكرى الرسول العربي واهدى لكل المدعوين مجموعة من ادبيات الحزب ونشراته والتي حملها معه من دمشق .

يصف الدكتور حمادي ماحدث له في هذه المرحلة قائلا : ((وقـــد لفت انتباهي آن بعض قادة الحركة الوطنية آنذاك كانوا يستعملون بيـــوت كبار رجال الإدارة الفرنسية السابقة وسياراتهم وهو أمر لم يكـــن مألوفـــا لدينا نحن في المشرق العربي كما لاحظت آن مرافقنا كان يصرف علينـــا بسخاء وبدون وصولات...)).

((حضرنا الاحتفال المركزي يوم الأول من ايار (فاتح مايو) كما يسميه المغاربة وكان عرضا كبيرا وجميلا حضره المرحوم الملك محمـــد الخامس ...)) .

حصلت زيارات متعددة لشخصيات مغربية وجزائرية منـــهم عبـد الحميد مهدي وزير شؤون شمال افريقيا آنذاك في الحكومـــة الجزائريـة المؤقته وسافرنا إلى وجدة على الحدود مع الجزائر وهناك التقينا بـــالعقيد هواري بومدين قائد قوات الثورة الجزائرية وجرى حديث ودي بيننا .

وكان من نتائج هذه الدعوة آن توثقت علاقـــات حزبنـــا بالحركـة الوطنية المغربية واحزابها وتوثقت صلاتنا مع رجال السياسة الوطنيين .

في ليبيا : -

بعد انتهاء المؤتمر القومي وانتخابات قيادة قومية جديدة في بـيروت كتب الدكتور علي احمد عتيقة إلى صديقه فـــي الدراســة فـي جامعـة وسكانسن الدكتور سعدون حمادي يعرض عليه العمل باحثا اقتصاديا فـي قسم البحوث في البنك الوطني الليبي فوافق الدكتور حمادي على ذلك وشد الرحال عام ١٩٦٠ إلى ليبيا بجواز سفر عراقي واستقر فـــي طرابلـس الغرب وكانت ليبيا مازالت ملكية تفجرت ينابيع النفط لتوها عندهم وفـــي هذه الحقبة استطاع آن يحقق شيئا من الاستقرار والاطمئنان النفسي حيـث ارتاح لهذا العمل الجديد وسر به كثيرا .

يصف الدكتور سعدون هذه الحقبة بقوله : ((... وجدت المتنفـــس في مشروع دراسة عن التضخم في ليبيا التي كانت بدأت مرحلة تصديـر النفط ومايتبعها من تنفيذ مشاريع تنموية وانفتاح ليـبرالي علــى الغـرب فاخذت الاسعار بالارتفاع مع ارتفاع الدخل والقوة الشرائية والطلب علــى السلع والخدمات والاستيراد ...)) .

وبعد دراسة كل الاوضاع الاقتصادية استطاع آن يكتـــب دراســة اقتصادية يعالج فيها التضخـم وتـم طبـع الدراســة بـــاللغتين العربيـة والانجليزية.

اما عن العمل الحزبي في ذلك البلد الذي كان يحكمه الملك ادريس السنوسي فيقول الدكتور حمادي : ((وقد تعرفت على الرفاق البعثيين خاصة الرفيق عامر الدغيس والاخرين وعملت على تنظيم الحزب بحسب هيكلية النظام الداخلي وبما يلائم العمل السري وعلى غرار التنظيم في العراق فتكونت الحلقات والفرق والقيادات ، وكنت عضوا في القيادة التي كان على راسها الرفيق الدغيس .

قمت ببعض النشاط الثقافي والتحدث في بعض البيوت وكان ذلك بداية للعمل المنظم في القطر الليبي ....)) .

واصدر التنظيم البيان الأول للحزب بمناسبة ذكرى الاستقلال ويحمل عنوان : الديموقراطية والجلاء والوحدة العربية هي اهداف الشعب. وقد القت السلطات الليبية القبض على موزع البيان وهو رفيق بعثي .

وبعد التحقيق من قبل السلطات الرسمية استطاعت كشف التنظيم وتم اعتقال الدكتور سعدون حمادي وبقية رفاقه. يتذكر الدكتور سعدون بانهم قد بلغوا اكثر من مائة وستين رفيقا واحدثت تلك القضية هزة في المجتمع ووجهت للحزب تهمة محاولة القيام بانقلاب وحيازة السلاح .... الخ .

وحكم على الدكتور سعدون بالسجن لمدة سنة يصفها بقوله : ((...وحكم علي بالسجن لمدة سنة قضيتها بين ذلك السجن البدائي القاسي في باب بن عشير وبين المستشفى اذ اصبت بالتهاب الكبد الفيروسي...)).

وبعد انقضاء مدة محكوميته واطلاق سراحه سحبت السفارة العراقية جواز سفره ومنحته جواز مرور صالح لستة اشهر . قرر مغادرة ليبيا إلى لبنان التي مكث فيها ستة اشهر غادرها بعد ذلك إلى بغداد وبقيت زوجته في ليبيا التي قد اقترن بها، وهي سيدة مربية فلسطينية فاضلة

ولدت في مدينة الرملة تدعى لمياء فوزي عبد اللطيف الكيالي ، وقد وقـع زواجهما قبل ان يدخل السجن باسبوع او اسبوعين على ما يتذكر .

وقد عاش معها – رحمها الله – عمرا لايفتأ يتذكره بالحنين والترحم لما سجلت فيه تلك المرأة المثقفة المربية مـــن مواقـف سـاندة لنشـاطه السياسي المفعم بالمصاعب والملاحقات والالتزامات حتى توفاها الله فـــي ١٩٩٦/٧/٢٧ عن خمسة من البنيين هم : اسامة ووائل وسهيل ومـــازن وغسان .

الفصل السادس
العائد

في مطار بغداد : -

(انت موقوف) ... قالها ضابط الامن في مطار بغـــداد بعـد آن اكمل فحص جوازات كل المسافرين عدا جواز الدكتور سعدون حمـادي . لم تكن الكلمة مفاجئة له فقد كان يستشعرها ولكنه لم يبد اكثر اكتراثا لـهذا الموقف الصعب عليه كمواطن فارق وطنه منذ ثلاث سنوات أو يزيد ثـم اعاده اليه الحنين وروح الانشداد بعد رحلة طويلة اضنته لا لشئ يطلبـه لنفسه بل تحمل تلك الاعباء خلال تلك المسيرة الصعبة من اجـل قضيـة امته ، من اجل ابناء شعبه ... من اجل تحرر وطنه .

في المعتقل : -

نعم لقد اقتاده هذا الضابط إلى الامن العامة.

يروي الدكتور سعدون ماحدث له : ((دخلت غرفة التوقيـف فـي الامن العامة وكان كل من فيها موقوفا لاسباب سياسية ، فتعرفـت علـى البعثيين بينهم وكان المكان مزدحما وبعد اكثر من اسبوع اخذونـا إلـى سجن الفضيلية وكان الوضع هناك افضل والمكان اوسع والسجن يغـص بالشيوعيين والاكراد او المتمردين في شمال الوطن . وكان ذلك قبل ثورة الرابع عشر من رمضان (٨ شباط ١٩٦٣) بعدة اشهر ....)) .

نبا ثورة ١٤ رمضا ن : -

وفي صباح أحد الأيام – والكلام للدكتـور سـعدون حمـادي : – ((علمنا همسا بقيام الثورة فخيم الوجوم على ذلك السجن وسـاد الذهـول خاصة على الشيوعيين بقينا طيلة ذلك النهار نتتبع الاخبار والثورة ترسـخ

اقدامها ، وفي المساء نودي علي من قبل إدارة السجن وقيل لي آن هناك امرا بالافراج عني فاخذتني سيارة عسكرية إلى الاذاعة حيث كان مقر القيادة فتعرفت على الرفاق القدماء وبقيت جالسا لااعرف اين اذهب اذ لم يكن لي بيت في بغداد ، واخذني الرفيق عدنان القصاب إلى بيته واستيقظت صباحا فاخبرني عند الفطور بانني اصبحت وزيرا للاصلاح الزراعي اذ قد اذيعت اسماء الوزارة الجديدة ليلا وقد كان ذلك مفاجاة لي، واخذني إلى مبنى الاذاعة وقضيت ذلك اليوم هناك...)).

وزير الإصلاح الزراعي :-

تسنم الوزارة في حكومة ثورة١٤ رمضان وفي ذهنه أفكار اصلاحية كثيرة حصيلة تخصصه في الاقتصاد الزراعي ودراساته السابقة في علاقة الفلاح بالارض . ولم يكن الاختيار لهذا المنصب عبثا بل من منطلق وضع الرجل المناسب في المكان المناسب . فالدكتور حمادي كان قد اهتم منذ زمن بدراسة الاقتصاد الزراعي ومسألة نظم استغلال الأرض والارتقاء بالمستوى المعاشي والاجتماعي للفلاحين ورفع الحيف والظلم الذي لحق بهذه الشريحة الواسعة من شرائح المجتمع العراقي والعربي .

وكان قد تاثر باستاذه في جامعة ويسكانسن بالولايات المتحدة الذي اشرف على رسالة الماجستير لان هذا الأستاذ كان من اشد الداعين إلى مما يسمى بنظام المزرعة العائلية المملوكة من قبل العائلة .

وظل يتابع الدراسات الخاصة المتعلقة بالاقتصاد الزراعي وسبل النهوض به وموضوع الاقطاع والملكية الخاصة ونظام المزارع وطرق ادارتها وغير ذلك من هذه الموضوعات التي لاتخرج عن نطاق الارض والفلاح ومايتفرع عنهما .

في عام ١٩٥٨ وفي مجلة الاداب البيروتية كتب الدكتور حمادي مقالا في نظرية الملكية في الاسلام شرح فيه فكرة الفصل بين ملكية

الرقبة اي مادة الأرض وملكية استخدامها وهي النظرية التي تجمع بين العنصرين والتي تعود إلى التنظيم الذي اوجده الخليفة الثاني عمر بن الخطاب – رض – عندما رفض توزيع الأرض المفتوحة في العراق والشام بين الفاتحين بل اقر عليها اهلها واخذ منهم الخراج عادا رقبة الأرض ملك بيت مال المسلمين وحق استعمالها وورائتها والتصرف بها ملكا لمن كان يزرعها (الأرض لله ولمن يعمرها) فمنذ اليوم الأول لتسلمه المنصب الوزاري بدا يخطط من اجل رفع المستوى المعاشي المتدني للفلاح العراقي وذلك بتقديم افضل الوسائل للنهوض بالواقع الزراعي ومساعدة الفلاح البائس في استغلال ارضه افضل استغلال وذلك باستعمال الطرق والوسائل الحديثة في الزراعة وبذلك يكون قد اسهم في انعاش الاقتصاد العراقي وهذا لايتم الا بتطبيق قانون الإصلاح الزراعي والذي كان قد أسيء استغلاله من قبل بعض العناصر الحزبية الشيوعية أيام حكم عبد الكريم قاسم وبعد جهود ومساع مدروسة ودقيقة وصدور تعليمات من المسؤولين في وزارة الإصلاح الزراعي والتشريعات التي اصدرتها ثورة الرابع عشر من رمضان بهذا الخصوص في سبيل تحقيق اهداف الثورة في تطبيق الافكار الاشتراكية العربية العادلة .

يحدد السيد الوزير الجديد للاصلاح الزراعي الخطوط العامة لعمله الذي ينتظره الفلاحون واصحاب الاراضي الزراعية والمعوقات التي تعترض مسيرة العمل .

يقول الدكتور سعدون حمادي : ((ان اغلبية الاراضي الخاضعة للاصلاح الزراعي كانت قد جرى الاستيلاء عليها ، اما نسبة ما وزع على الفلاحين فقليلة جدا وتم تاجير الباقي للفلاحين بعقود مؤقته ويعني ذلك آن اغلب الاراضي الزراعية التي كانت تدار من قبل الملاك اصبحت في شبه فوضى فهي مؤجرة من الدولة للافراد الفلاحين الذين اصبحوا بدون إدارة فعلية فضعف الانضباط كانت عملية التوزيع صعبة ومعقدة

بسبب الاجراءات القانونية والادارية ولاسباب فنية تتعلق بالري والاستصلاح وشق الترع الجديدة ....)) .

ولم تنفع سلف المصرف الزراعي ولا المزارع الحكومية كل ذلك ادى إلى انخفاض الانتاج الزراعي وخسارة الدولة موارد مالية كثيرة .

يصف السيد الوزير الواقع الزراعي : ((... واصبح الإصلاح الزراعي عملية مكلفة للدولة تحتاج إلى دعم مالي سنوي كبير وادت إلى انهيار النظام الانتاجي القديم بدون ان تستطيع تكوين نظام جديد يحل محله...)) .

ويخلص إلى القول : ((كان الإصلاح الزراعي الذي نفذ بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ قد نجح سياسيا في تصفية الطبقة الاقطاعية ألا انه اقتصاديا كان اقل نجاحا . لقد استطعت ان افهم هذا الوضع وتعرفت عليه فحاولت بوصفي وزيرا للاصلاح الزراعي ان اعالج الوضع ألا أنني لم استطع الا جزئيا بسبب قصر المدة التي بقيت فيها مسؤولا عن الوزارة....)) .

اصلاحاته كانت تنحصر بالغاء المزارع الحكومية ، وتبسيط عملية التوزيع ، واصلاح اوضاع محطات تأجير الالات ، ودفع مشاريع الاستصلاح وغير ذلك مما اجتهد في تقديمه من اجل تقديم افضل الخدمات للطبقة الفلاحية والنهوض بالواقع الزراعي وخدمة الاقتصاد العراقي .

وحصيلة تلك التجربة كما يوضحها الوزير نفسه : ((ان حصلت قناعة وجدانية مفادها ان كل ماقرأناه ودرسناه نظريا لايمكن تطبيقه عمليا وهو عين ماحصل في وزارة الإصلاح الزراعي . لهذا فكرت في تأليف كتاب اعرض فيه تجربتي في هذا المجال ومقترحاتي الواقعية لتطبيق قانون الإصلاح الزراعي تطبيقا صحيحا يحقق الأهداف المتوخاة منه . وقد ساعدتني الظروف على تاليف الكتاب وهو السجن الذي وفر لي

الوقت الكافي للكتابة ومن ثم الخبرة التي خبرتـــها خـــلال العمـــل فـــي الوزارة....)) .

والكتاب صدر عن دار الطليعة في بيروت في ما بعد وهو بعنوان : نحو اصلاح زراعي اشتراكي . دعا فيه الدكتور سعدون حمادي إلى تأميم الاراضي الزراعية ، والغاء مشروع توزيع الاراضي علـــى الفلاحيـــن ، ووضع الإدارة بيد الملاكات الفنية . وكان الكتاب يمثل موقـــف الوزيـــر وقت كتابته من قضايا الإصلاح الزراعي .

ولكنه بعد وقت من إصداره الكتاب المذكور تراجع عن مقترحاتـــه وارائه في الكثير من الموضوعات بعد ما تبين له ضرورة مراجعة بعض الافكار والاستنتاجات التي حصل عليها ولمسها بنفسه وتراكم خبرة طويلة وتقويم موضوعي للتجارب .

الفصل السابع
عودة التجربة

تجربة اللجوء السياسي الثانية :-

بعد الثامن عشر من تشرين عام ١٩٦٣ تمت ملاحقته من قبل سلطة١٨ تشرين مع بقية رفاقه من البعثيين وقد جرى تفتيش بيته اكثر من مرة واودع التوقيف دون توجيه تهمة اليه وبعد ذلك اجبر على مغادرة العراق حيث اخرجوه من التوقيف إلى المطار مباشرة وجرى تسفيره إلى بيروت ثم تبعته زوجته فيما بعد .

لم يمكث طويلا في بيروت فقد غادرها إلى دمشق حيث سكن في شقة صغيرة في حي شعبي من احياء الشام وتم تكوين مكتب اقتصادي بالاشتراك مع الدكتور بشير الداعوق والدكتور عدنان شومان ورتب لهم مكتبا في بناية المجلس النيابي بحد ادنى من المستلزمات وبدا العمل في الشؤون الاقتصادية واستطاع المكتب باركانه الثلاثة آن يقدم عددا من المقترحات لحكومة ثورة الثامن من اذار منها قانون التعاون، ودراسة قوانين الإصلاح الزراعي، وقضايا التاميم والقطاع الخاص والشركات الخاصة ألا ان عمل المكتب والمقترحات المقدمة لم تلق اذنا صاغية .

وكان الصراع قد بدأ بين القيادة القومية وماسمى بالقيادة القطرية او اللجنة العسكرية .

يقول الدكتور سعدون : ((عندما وصلت إلى دمشق من بيروت لاجئا حدثت الرفيق القائد المؤسس الأستاذ ميشيل عفلق عن فكرة ان تقوم حكومة ثورة اذار في دمشق بتنفيذ الوحدة بين سورية ومصر بعد ان اطاح عبد السلام عارف بحكومة ثورة ١٤ رمضان في العراق وان تقوم بالاتصال بحكومة مصر لهذا الغرض وقد قدمت شرحا وحججا قوية لدعم هذا الرأي فطلب مني القائد المؤسس ان اقنع القيادة القطرية وقيادة الدولة

بذلك كما طلب عقد اجتماع احضره لشرح وجهة نظري وحصل ذلك في لقاء حضره رئيس الدولة الفريق امين الحافظ وصلاح جديد وبقية اعضاء القيادة وشرحت وجهة نظري وقدمت حججي فلم يهتم احد بذلك ولم يؤيدني أحد وانفض الاجتماع دون نتيجة ...)) .

وفي هذه المرحلة كتب عددا من المقالات في مجلة دراسات عربية التي تصدر عن دار الطليعة في بيروت . من عنوانات تلك المقالات السياسية :

- الثورة ومشكلة الانتهازية الذي نشر في كانون الأول ١٩٦٥ ، وامراض الثورة نشر في عدد كانون الثاني في السنة نفسها بمجلة دراسات عربية. وفي السنة الثانية ١٩٦٦ عدد شباط نشر مقالا اخر في المجلة نفسها بعنوان : الخطأ والصواب في بعض قضايا الثورة ، وكتب مقالا اخر في شهر حزيران من السنة نفسها ولم ينشر في حينه يحمل عنوان : اساسيات الثورة ، واستمر يكتب بعض المقالات السياسية والفكرية حتى عام ١٩٦٨ وقد اتفق مع دار الطليعة للطباعة والنشر على جمع تلك المقالات واخراجها في كتاب مستقل صدر بعنوان : اراء حول قضايا الثورة العربية طبع اكثر من مرة .

بعد ١٩٦٦/٢/٢٣ تجنب الدكتور سعدون الخوض في القضايا السياسية فبدأ يحرر بعض المقالات التي كان ينشرها في مجلة دراسات عربية وقد انصرف إلى العمل البحثي في معهد التخطيط التابع للامم المتحدة في دمشق ... في هذا المعهد انهمك في تقديم بعض البحوث في التخطيط الاقتصادي ، وسعى إلى عمل مسح واسع في بعض المحافظات السورية وكانت مدة عمله في مركز التخطيط هذا مجالا لاعادة صلته بالحياة العلمية فكتب اكثر من بحث نال إعجاب وتقدير برنامج الامم المتحدة للتنمية الذي كان المركز أحد مشاريعه . كما ان عمله في المعهد قد اتاح له الاستقلال المالي عن الدولة والحزب الحاكم في سوريا فلم

ترض عنه السلطة واستمر يعمل حتى بدأت العيـــون تراقبـــه وترصـــد تحركاته عندها قرر العودة إلى العراق ، وبعد وصولـــه بمـــدة وجـــيزة حصلت ثورة السابع عشر/ الثلاثين من تموز ١٩٦٨ وبدأ حيـــاة جديـــدة سواء أكانت في العمل السياسي أم في العمل الوظيفي الرسمي .

الفصل الثامن
الاستقرار

كما آن للوضع السياسي في العراق ان يستقر وان يـــاخذ مســاره الطبيعي بعد السابع عشر / الثلاثين من تموز عـــام ١٩٦٨ فـــي اعقــاب الثورة البيضاء فقد آن للدكتور سعدون حمـــادي أن يعــود ليــاخذ دوره الطبيعي في مسيرة البناء التي طالما حلم بها حين عمل على تكريس جهده من اجل القضية الوطنية والقومية وهكذا كانت البداية باسناد رئاسة شـركة النفط الوطنية اليه في ١٩٦٨/١١/١٥ .

((في السياسة النفطية))

شركة النفط الوطنية : -

كان العمل جديدا خارج نطاق اختصاصه لذلك عمد إلـــى تقصـي المصادر العلمية وقراءة الكتب التي تبحث في كيميـــاء النفــط وتقنيـات الصناعة النفطية والتنقيب في الدراسات السابقة التي تحتفظ بها الشـــركة ، فلم يجد ما ينفعه او يهديه إلى صيغ العمل في هذه المؤسسة المهمة كـــي ينهض بها ويعزز فاعليتها ويمدها بمصادر التقدم والرقـــي ســـواء فـــي التخطيط المستقبلي ام في العاملين من المهندسين والفنيين والاداريين .

يقول الرئيس الجديد للشركة : ((تسلمت الشركة فلم اجد فيها مـــن الدراسات غير دراسات عن استثمار حقل شمالي الرميلة واتفاقية الحكومة العراقية مع شركة (ايراب) الفرنسية .

كان عدد العاملين في الشركة من المهندسين سبعة عشر مهندســـا، ومن الجيولوجين والفيزياويين سبعة عشر أيضا)) .

امام هذا الملاك الضعيف وفي ظل الظروف الصعبة التي تسلم فيها الشركة عمد إلى تعيين عدد من الفنيين والمهندسين والاداريين ونقل عــدد

اخر من شركات النفط العاملة في العراق رغم معارضة الكثيرين من المسؤولين الا ان رئيس الشركة الجديد اصر على ذلك وتم له ماراد.

استطاع الدكتور حمادي ان يطور العلاقات النفطية مع الاتحاد السوفيتي السابق وعقد اتفاق معه لبناء خط الانابيب للتصدير من الفاو وكذلك عقد اتفاقيات اخرى مع الدول الاشتراكية آنذاك وكان الهدف من تلك السياسة هو استثمار حقل شمالي الرميلة وتصدير النفط وشراء معدات نفطية وحفر ابار نفطية جديدة ، متخطيا كل الصعاب التي كانت تعترض سبيل توقيع مثل تلك الاتفاقيات وكانت تلك المرحلة غنية بالنشاط والعمل والمبادرات ، يصفها الدكتور سعدون حمادي بالمرحلة التي تم فيها بناء شركة نفط وطنية حقيقية حيث اصبحت اعمالها في مجالات الصناعة النفطية كافة تغطي العراق وعلاقاتها الدولية واسعة وظهر العراق بلدا نفطيا مهما في جميع المجالات .

اتبع طريقة ادارية حازمة وعقلانية فهو لم يختر غير الاكفاء المخلصين من العاملين سواء أكانوا اداريين ام فنيين واعطاؤهم الصلاحيات الواسعة، وتبسيط الاجراءات وتجاوز الحلقات الزائدة .

فمنذ ان دخل الباب عمل بكل جد واخلاص وتفان وحسن إدارة وسعة افق وصفاء نية في العمل الجاد استطاع من ان يجعل من تلك الشركة مؤسسة مرموقة لعبت دورا في العملية الاقتصادية والتنموية للقطر اضافة لاكتسابه خبرة افادته في مجالات الشؤون النفطية .

وزير النفط : -

صدر المرسوم الجمهوري بتنصيبه وزيرا للنفط فـــي ١٩٧٠/١/١ وبذلك يكون قد دخل المعترك مع شركات النفط الاحتكارية مـــن اوسـع ابوابه فازدادت اعباؤه وثقلت مسؤولياته التي استطاع أن ينوء بها مستفيدا من تجاربه في شركة النفط الوطنية واكتسابه الخبرة اللازمة التي كـــانت خير عون له في الخروج من كل مأزق عرض له سواء داخل الـوزارة ام مع المفاوضين الاجانب واصبح متمرسا في الحصول على حق العـــراق في موارده النفطية .

من الاجراءات التي قام بها في هذه الوزارة إلغاء مجلس إدارة النفط لعدم جدواه وكان اجراء اداريا حازما وقد وزعت صلاحيات المجلس على المؤسسات النفطية التابعة للوزارة .

يتحدث الوزير عن ابرز القضايا التي حدثت له أثناء توليـــه وزارة النفط فيقول : ((... احتدم الصراع مع شركات النفط العالميـــة وقـرار تاميم الصناعة النفطية (الذي يعود الفضل فيه للرفيق الرئيس القائد صدام حسين -حفظه الله ورعاه-) والازمة النفطية المعروفة وارتفاع عوائـــد الدول المنتجة، وحسم جميع الخلافات القديمة والجديدة مع شركات النفـــط وتحقق استقلال العراق في صناعته النفطية ....)) .

توجهت بالسؤال الاتي إلى الدكتور سعدون حمادي

س : من خلال تعاملكم مع اشد المواقف المادية حساسية في ظـرف كظرف العراق البلد النفطي الذي يرتبط بعلاقات خطيرة مع جهات اجنبية تحاول استنزافه. كيف يتسنى لكم تقييم المواقف على قدر ما تحملون مـــن مسؤولية ؟



كتاب مذكرات وآراء في شؤون النفط

ج : انني اعير الادلة المادية الملموسة اهمية خاصة فطريقة تفكيري هي أنني قد اتوصل لاستنتاج ما عن طريق التحليل والمنطق أو مايسمى بالحصافة او الفهم البسيط إلا أن ذلك الاستنتاج عندما يقترن بأدلة مادية ملموسة فالموضوع يكتسب عندي اهمية حاصة واضرب على ذلك المثلين

الاثنين : اننا نعرف بالتحليل المنطقي والاستنتاج ان الكثير من المؤسسات الأمريكية العاملة في المنطقة العربية تحت عناوين التنمية والمساعدة او البحوث انما هي مؤسسات استخبارية ومنها مؤسسة فورد مثلا . لقد كان لهذه المؤسسة فرع في بغداد قبل ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ وبعد قيام الثورة اخبرني من يعمل في مكتب هذه المؤسسة وهو عراقي اذ كان المدير الامريكي مسافرا ان لديهم في مكتبهم اضابير فيها معلومات سياسية وتقارير واوراق ذات طابع سياسي.... وبذلك تاكد لدي ان هذه الموسسة وكما كنا نقول في السابق مؤسسة استخبارية في حقيقتها الا أنها تغطي عملها هذا بستار الاهتمام بالتنمية وتقديم المساعدات للبلدان النامية الصديقة.

والمثال الاخر يتعلق بشركات النفط العاملة في العراق فقد كنا نعرف بالاستنتاج المنطقي أنها تعمل في السياسة وتلاحق التطورات السياسية في البلاد بالرغم من ادعائها أنها شركة تعمل في مجال الصناعة النفطية ولاتتدخل في شؤون البلاد . وبعد التاميم علمت انه وجد في مكتب مدير الشركة في كركوك مفكرة شخصية مدون فيها يوما بيوم التطورات السياسية في البلاد وموقف الشركة منها وماتنوي تقديمه من مقترحات للحكومة البريطانية وبذلك توفر لدي الدليل الملموس ليدعم الاستنتاج المنطقي الذي كان عندي من الاساس .

س : ماذا بقي عالقا في الذاكرة بشان المفاوضات مع الشركات النفطية بعد قرار التاميم ؟

ج : من الامور التي لاتبرح ذاكرتي المفاوضات الطويلة الشاقة التي دخلتها للتوصل إلى اتفاق مع شركات النفط بعد التاميم لحل المشاكل المعلقة معها القديمة والناتجة عن قرار التاميم وقد اختارت الشركات شخصا من شركة النفط الفرنسية وهو مسؤول الشرق الاوسط في الشركة

الفرنسية واسمه : (دوروك دانبير) وهو شخص مهذب لطيف دمث الأخلاق ....

تقدمت لنا الشركات بمشروع كامل للاتفاق يتضمن عدة نقاط منها التعويضات عن التاميم بشكل كميات من النفط الخام مجانا ومنها الالتزام ببيعهم كميات من النفط باسعار مخفضة ولمدة طويلة من الزمن وقد تقدمت بعدد من المقترحات لاجراء تعديلات مهمة في ذلك المشروع فضلا عن تخفيض كمية التعويضات. الغينا الفقرة المتعلقة ببيعهم كميات من النفط باسعار مخفضة مسبقا وقد ثبت في ما بعد عندما حصلت الازمة النفطية وارتفاع أسعار النفط ان رفض الالتزام ببيع كميات من النفط باسعار محددة مسبقا كان في مصلحة البلاد .

واخيرا استطعنا التوصل إلى اتفاق وحلت المشكلة واستطعنا الحصول على كامل حقوقنا في القضايا المعلقة مع الشركات منذ صدور قانون الاراضي غير المستثمرة من الشركات بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.

س : واخيرا وانت تغادر الموقع الأول في وزارة النفط . هل تركت السنين الاربع من انطباعات في نفسك ؟ وما هي رؤيتك لتلك السنوات الحاسمة ؟

ج: كنت اشعر بالكثير من الحرية في التصرف . فقد شعرت بانني اتمتع بثقة القيادة من جميع الوجوه: الاخلاص والكفاءة والنزاهة . كما أنني بطبيعتي اميل إلى المبادرة والرغبة بالقيام بشئ جديد وقد اجتمعت هذه العوامل كلها لتجعلني اشعر براحة واطمئنان ومتعة في العمل ومن هنا كانت الخطوات التي اتخذتها تتسم بانجاز شئ مهم لم يكن موجودا في الصناعة النفطية العراقية .

لم اكن اشعر بانني يجب اخذ توجيه في كل صغيرة وكبيرة بل اخذت قسطا كبيرا من حرية التصرف فاتخذت قرارات مهمة خلال عملي في مجال النفط . فعقود كبيرة لشراء ناقلات نفط ، ووحدات تصفية متنقلة

واعادة تشغيل معمل الغاز في التاجي بضاحية بغداد وبناء مصفى البصرة واستثمار حقل شمال الرميلة وبناء شركة النفط الوطنية من جميع الوجوه لتصبح شركة فعالة يمتد نشاطها في طول البلاد وعرضها ، وعقد العديد من الاتفاقيات مع بلدان اخرى واخذ المبادرة في داخل الاوبك والتفاوض مع شركات النفط وغيرها من المبادرات لم اقم بها إلا وانا شاعر ان ارائي وما اقوم به ينسجم تماما مع اراء القيادة .

هذا ونشرت دار الطليعة في بيروت عام ١٩٨٠ كتابا للدكتور سعدون حمادي بعنوان : مذكرات في شؤون النفط ضم كل اعماله ومنجزاته ووقائع للموتمرات والمفاوضات والمشاريع ... الخ وكل ماانجزه رئيس شركة النفط الوطنية ووزير النفط .

وزير الخارجية : -

لايختلف اثنان في ان وزارة الخارجية في كل دولة بلا استثناء هي الوجه المسفر للدولة وكثيرا ما يتعرض الوزير للاضواء الكشافة ويكون مسؤولا ضمن ادبيات العلاقة الدولية عن سياسة بلده ومواقفه وتعهداته ومواثيقه ضمن إطار بعيد عن الدعاية المجردة .

ويكون هذا المنصب اكثر خطرا حينما يمر البلد اي بلد بظروف حاسمة بالغة الحساسية كظروف العراق حين كلف الدكتور سعدون حمادي بتسنم وزارة الخارجية من ١٩٧٤-١٩٨٢ وبالاجمال فان تلك الخطورة قد انحصرت بامور اهمها :

١- ذيول الموقف من شركات النفط العالمية الاحتكارية بعد قراري التاميم في ١٩٧٢ و ١٩٧٣ . خصوصا وان الدكتور سعدون حمادي كان يومها يتقلد وزارة النفط اي انه يقف على بوابة المواجهة مع كل التداعيات .

٢- مسالة العلاقة مع ايران والتي بدأت منذ تاسيس الدولة العراقية عام ١٩٢١ (في الاقل) والتي لم تتمخض ألا عن اتفاقيــة عــام ١٩٣٧ الكسيحة والتي تعد في العرف السياسي المنطقي من أنصاف الحلــول او هي شبه هدنة سياسية بين الطرفين . وقد رات حكومـــة ثــورة ١٧-٣٠ تموز ان تضع حلا جذريا لهذه المسالة مع الاخذ بنظر الاعتبـــار كــون ايران بلدا جارا .

وبتوسط من حكومة الجزائر الشقيقة براسة هواري بومدين وانتــهاز فرصة اجتماع القمة لدول الاوبك في عــام ١٩٧٥ اســتطاعت حكومــة الثورة في العراق ان ترسم الخطوط العريضة لاتفاق شامل بين البلديــن ، وقد تم توقيع الاتفاق مع ايران من قبل السيد الرئيس القائد صدام حسين – حفظه الله ورعاه – يوم كان نائبا لرئيس مجلس قيادة الثورة . وكــان دور وزير الخارجية شاقا وحساسا في إدارة الاجتماعات الدورية التي اعقبــت توقيع الاتفاق . وفي عهد وزارته وقعت كارثة زيارة انور السادات للقدس فكان على العراق وهو البلد الذي اخذ بالنهج القومي التحرري الحــازم ان يتخذ الموقف الحازم والملائم مع توجهه القومي الوحدوي لكي يتصــدى لهذه المؤامرة وان سيتقطب كل القوى العربية السياسية منها والاجتماعيــ الرافضة منها والمؤيدة من اجل افشال ذلك المخطط .

وقد تزامنت هذه الجهود مع ارتداد سوريا عن موقفــها المنــاهض للعراق ووضع يدها في يده ومن ثم انعقاد أول مؤتمر للقمة في بغداد فــي تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٧٨ وانبثاق جبهة الصمــود والتصــدي التي تالفت من الأقطار العربية التي ناهضت المخطط الساداتي الامبريالي الصهيوني .

كل هذه الوقائع الساخنة في الساحة العراقية والعربية كان لوزيــر الخارجية الاثر الفاعل والجهد المتميز في إنجاح معطياتها ومقرراتها بمــا أوتي الدكتور حمادي من لباقة ولياقة .

ويستمر بتسنم مسؤوليته كوزير للخارجية بعـــد ان تولـــى الســـيد الرئيس القائد صدام حسين – حفظه الله ورعـــاه – رئاســـة الدولـــة فـــي ١٩٧٩/٧/١٦ ويظل يتحمل المسؤولية تباعا كوزير للخارجية حين اندلعت الحرب العراقية – الايرانية في ايلول ١٩٨٠ وطبيعي ان يكون لـــوزارة الخارجية في ظرف كهذا دور فاعل وبارز في التحرك الدبلوماسي الدولي للدفاع عن وجهة نظر العراق وموقفه من هذه الحرب.

ففي خطاب له في الدورة الخامسة والثلاثين للجمعية العامة للامـــم المتحدة بتاريخ ١٩٨٠/١٠/٣ اكد على ان (العراق ســـيبقى مـــن اشـــد المتمسكين بسياسة عدم الانحياز القائمة على عدم التدخل فـــي الشـــؤون الداخلية واحترام السيادة الوطنية لجميع الدول والحـــرص علـــى الســـلام والامن في العالم) .

(لقد تعرضت العلاقات مع ايران إلى ازمات خطيرة بسبب سياســـة انظمة الحكم المتعاقبة في ايران التي كانت ولاتزال تعتبر العراق والوطن العربي وخاصة في منطقة الخليج العربي مجالا حيويا للسيطرة.

لقد طرق العراق كل السبل المتاحة وبنية صادقة لاقامة اتصـــالات مع النظام الجديد في ايران الذي كان يبيت نواياه المعاكســـة منـــذ الأيـــام الأولى لتسلمه سدة الحكم في ايران، وارسل العراق لايران العديـــد مـــن المذكرات التي اوضحت انه ليس للعراق ايـــة اطمـــاع فـــي الاراضـــي الايرانية غير ان جميع هذه المذكرات الرسمية لم تلق اذنا صاغيـــة مـــن حكام ايران حيث لم نتلق اي رد عليها .

ان حكومتي قد أعلنت على لسان اعلـــى المســـؤولين فيـــها بانـــها لاترغب في اي حرب مع ايران ولا تهدف إلى توسيع دائـــرة الصـــراع معها خارج حدود استعادة العراق لحقوقه المشروعة في السيادة الاقليميـــة والى ان العراق لايملك اي اطماع اقليمية في ايران ...) .

وظل يواصل الوزير الدكتور سعدون حمادي جهده من اجل العراق والدفاع عن مصالحه وحقوقه من خلال خطاباته السياسية العديـــدة فـــي المحافل العربية والإسلامية والدولية حتى عام ١٩٨٢ وهي السنة الأخيرة من عمله كوزير للخارجية ، ثم وهو يعود إلى العمل كوزير دولة للشؤون الخارجية في عام ١٩٨٨ . وكان إلى جانب تلك المســـاعي الدبلوماســية والجهود الرسمية يواصل الكتابة في موضوعات الحرب العراقية الايرانية في الصحف العراقية والمجلات العربية وقد جمع تلك المقالات في كتـــاب صدر عن وزارة الإعلام العراقية عام ١٩٨٢ بعنوان:

ملاحظات حول قضية الحرب مع ايران .

حركة عدم الانحياز : –

كما سعى الدكتور سعدون حمادي إلى تدعيم حركة عدم الانحيـــاز ودعا إلى الاهتمام بها وتقويتها لما لها من اهمية في تدعيم استقلال ذلـــك الجمع الكبير من الدول المنضوية تحت خيمة هذا التجمع الدولي الواســـع وفي التاييد الذي قدمته تلك المنظمة إلـــى حركــات التحــرر ومقاومــة الاستعمار وحرية اختيار الانظمة السياسية والاقتصادية وهو يتمنى زيــادة فعاليتها وتاثيرها في الحياة الدولية فكان يشـــارك فـــي نشـــاطها بفعاليــة واهتمام .

يقول في هذا الصدد : ((وقد دفعني هذا الاهتمام إلى الكتابة عنـــها ومحاولة التفكير في تطويرها الأمر الذي جعلنـــي اتقـــدم بـــالعديد مـــن المقترحات من اجل ذلك ومنها اقتراح تجمع الدول المنتجة للمواد الأوليـــة في منظمات على غرار منظمة الدول المصدرة للنفط (اوبك) وقد قامت وزارة الخارجية بطلب مني باعداد دراسة عن ذلك طبعت بلغات متعـــددة ووزعت في مؤتمر القمة الذي انعقد في كولومبو عاصمة سري لانكا .

وقبل انعقاد هذه القمة القيت محـــاضرة فـــي جمعيـــة الحقوقيـــن العراقيين مساء يوم ١٩٧٦/٣/٣١ بعنوان : اراء ومقترحات حول مؤتمـو القمة القادم لدول عدم الانحياز في كولومبو شرحت فيها حاجـــة الحركـــة إلى التقوية عن طريق معالجة موضوع العضوية الذي اصبح في الاونـــة الأخيرة مفتوحا تقريبا ومعالجة قضية الوسائل للعمل . وقد تم التعـــرض لمختلف شؤون الحركة ومواقفها من القضايا الدولية المهمة ...)) .

وبعد رجوعه من مؤتمر القمة الذي عقد في جاكارتا في اندونيســـية كتب مقالا مطولا في جريدة الجمهورية ١٩٩٢/١٠/١٤ بين فيـــه ســـبل تقوية حركة عدم الانحياز ومعالجة قضاياها الملحة ووسائل العمل وانشاء سكرتارية قوية فضلا عن ضم الصين للحركة مع مبررات ذلك اذ كـــانت الصين عضوا مراقبا وحضرت مؤتمر قمة جاكارتا .

يعلل الدكتور حمادي سبب اهتمامه بهذه الحركة بالتفتيش عن وسيلة تستطيع بواسطتها الدول الصغيرة مقاومة ظاهرة الاستعمار بعـــد تفكيـــك الاتحاد السوفيتي وظهور السياسة الأمريكية العدوانية على المسرح الدولي واخضاع الدول النامية لسياستها واستغلال مواردها والهيمنة على الشعوب الضعيفة دون رقيب أو مساءلة من أحد بعد أن كانت تخشـــى المعســـكر الاشتراكي من قبل اصبحت اليوم قوة قطبية واحدة تهدد العـــالم بقوتـــها العسكرية وقدراتها التقنية .

بيد انه بعد كل ذلك يصف اهتماماته بهذه الحركة على أنها من باب التمنيات فيقول : ((لقد استمر ضعفها ولا تبدو هناك امكانية مباشرة لبعث الحيوية فيها . فالروح المعنوية منخفضة والحركة خليط متنـــاقض مـــن اقصى اليمين لاقصى اليسار والمصالح متضاربة ولا توجد نواة من عـــدد الدول المسموعة الكلمة المنزهة القصـــد تســـتطيع ان تتولـــى التوجيـــه والقيادة...)) .

اللجنة الاقتصادية :

كان تكليف الدكتور حمادي براسة اللجنة الاقتصادية التي تضم في عضويتها عددا من الوزراء، انما تم من اجل معالجة جميع الشؤون الاقتصادية للبلاد ، فكانت صلاحياتها واسعة جدا ، تعرض عليها جميع القضايا الاقتصادية والمالية التي تخص الوزارات والمؤسسات التي تعمل في إطار الدولة. كما ان اللجنة كانت تعالج القضايا الاقتصادية الخارجية، واهمها : العلاقات الاقتصادية بالدول الاخرى التي يتعامل معها العراق ، وتقع في صميم هذه المهمة : معالجة قروض العراق من الدول الاخرى لتمويل مشاريع التنمية و جدولة ديون القطر الخارجية التي اعادت الدول الدائنة تقسيطها وتقرير معدلات الفائدة عليها ، ومنها ديون فرنسا . كما استطاعت اللجنة التوصل إلى توقيع اتفاقيات ملائمة لا ترهق موازنة التنمية الاقتصادية . كما اشرفت الهيئة على اتفاقيات التعاون الاقتصادي الفني مع الدول الاخرى وتفاوضت بشانها او عقدتها.

اما على الصعيد الداخلي فان من اهم مهمات اللجنة هي توزيع الموارد من العملة الصعبة على مختلف مؤسسات الدولة لتمويل احتياجاتها ولدفع خدمة الديون التي عليها ازاء الخارج .

وكانت اللجنة تبت في القضايا التي تعرض عليها من قبل ديوان الرئاسة ومن مؤسسات الدولة المختلفة . كما أنها كانت تبادر باقتراح الاجراءات والخطط والمشاريع على القيادة العليا للدولة . وبذلك فيمكن القول بان اللجنة الاقتصادية كانت جهازا مركزيا يدرس ، ويقترح ، ويقرر، ويبت في مختلف الشؤون الاقتصادية العاجلة وغير العاجلة الداخلية والخارجية.

كان للدكتور حمادي الفضل في تشخيص دورها على الساحة الاقتصادية العراقية كمرفق مهم من مرافق اقتصادنا الوطني.

رئيس مجلس الوزراء :

اشتدت العواصف بالعراق اثر الهجمة المسمومة (١٩٩١) التي شنتها على القطر قوى الشر والعدوان التي لم يرقها التقدم الحضاري المطرد لهذا القطر الناهض ، في هذه الفترة العصيبة ، تسنم الدكتور حمادي رئاسة مجلس الوزراء في العراق والتي قال عنها (كما وردني ذلك في جواب بخطه):

((ان فترة رئاسة الوزراء لم تكن طويلة وحدثت في الظروف التي اعقبت العدوان وكانت المهمة الأولى هي اعادة اعمار ماخربه العدوان في مختلف المجالات الاقتصادية والخدمية واعادة الحياة الطبيعية للبلاد ومواجهة الحملات الاعلامية المعادية والمخططات التي حاول المعتدون تنفيذها . والمهمة كانت صعبة ومتشعبة إلا ان الفترة كانت قصيرة والظروف معقدة .

كان العمل بتوصية قائد البلاد الرفيق رئيس الجمهورية يسير في اتجاه افشال المخطط المعادي للبلاد الرامي إلى شل الحياة الاقتصادية والمعاشية والخدمية للمواطنين . ولم يكن العمل الذي قمنا به إلا بداية فاستطاعت بلادنا بقيادة السيد الرئيس تحقيق هدف اعادة الاعمار)).

في المجلس الوطني

في شهر أيلول من عام ١٩٨٤ فاز الدكتور سعدون حمادي في انتخابات المجلس الوطني عن محافظة بغداد ثم جرى انتخابه رئيسا للمجلس (١٩٨٤- ١٩٨٨) في دورته الثانية وبعدها الدورة الرابعة (٩٩٦- ١٩٩٩) والخامسة (٢٠٠٠- ٢٠٠٤) وما يزال رئيسا للمجلس الوطني عند إعداد هذا الكتاب .

كتب لي عن مهامه وإنجازاته خلال ترؤسه للمجلس خلال المدد الثلاث المذكورة وأنني اثبت نص ما حرره توخيا للدقة في الوثاقة التاريخية : ((أصبحت رئيسا للمجلس الوطني في مدته الثانية وكان المجلس لا يزال مؤسسة ناشئة إذ لم يمض على عمله اكثر من مدة واحدة لذلك كان من الطبيعي أن لا يكون قد كون تقاليد عمل بعد، وبذلك كان هدفي الأول في المجلس الثاني والرابع والخامس هو تطوير تقاليد عمل ولم تكن المهمة سهلة، فالقانون والنظام لا يحددان غير مبادئ عامة أما كيفية العمل وتصريف الأمور وادارة الجلسات فلم يكن هناك ما ينظمها، لذلك فقد أخذت بالاجتهاد و استخدام ما لدي من معلومات عن المجالس الأخرى وتكييفها حسب أوضاعنا خاصة وان نظامنا السياسي له خصوصية فهو لم يزل في مرحلة التكوين فهو نظام رئاسي وفية عناصر من النظام الوزاري ، كما انه نظام ثورة تريد أن تتحول بالتدريج الى نظام دستوري حديث . لذلك فقد أعطيت بعض المواد الواردة في القانون والنظام تفسيرا اجتهاديا . فالمادة التي تقول : أن المجلس يناقش السياسة الخارجية والداخلية للبلاد لابد من تجسيد عملي لها ، فالوزراء لا يحضرون اجتماعات المجلس كما في النظام الوزاري لذلك فقد اجتهدت طريقة الاستضافة وهي أن يستمع المجلس مرة في السنة في الأقل إلى كل وزير ليجيب عن أسئلة مع إعطاء الأولوية لأسئلة اللجنة ذات العلاقة بعمل الوزير حيث يتم تهيئة الأسئلة خطيا وترسل إلى الوزير قبل الجلسة ليجيب عنها خطيا ثم توجه اليه الأسئلة واحدا بعد الآخر في الجلسة من عضو اللجنة ليجيب عنها الوزير وبذلك اصبح الوزير يتعرض مرة كل

عام في الأقل لأسئلة أعضاء المجلس عن شؤون وزارته عدا الحالات الطارئة الأخرى التي تتطلب الحضور وبالتدريج وبمرور الوقت تكونت تقاليد عمل تم تدوينها باسم مدونة تقاليد العمل وبذلك اصبح المجلس يعمل على أساس ثلاث وثائق : القانون والنظام والمدونة .

ثم هناك مسألة الانضباط من قبل الأعضاء وتعويدهم على تقاليد العمل وتقنين الكلام بوقت محدد . وكانت عملية تكييف الأعضاء للعمل التشريعي وتحويل عاداتهم من عادات الندوة والاجتماع الجماهيري إلى عادات المجلس التشريعي . إنني مرتاح جدا الان لان هذه التقاليد وبمرور الوقت أصبحت راسخة وآمل أن لايجري تغييرها في المستقبل من قبل الذين سيخلفوني في رئاسة المجلس .

ومن الأمور الهامة في عمل المجلس هو تكوين لجان للاستشارة غير رسمية لا ينص عليها لا القانون ولا النظام الداخلي وهي اللجنة الاستشارية الواسعة من أصحاب الرأي في المجلس، ولجنة قيادة اللجان ، ولجنة متابعي شؤون المحافظات، واحد من كل محافظة ينتخبه ممثلو المحافظة .

أما الدور السياسي للمجلس فقد تفنن من خلال الوفود المغادرة ، واستقبال الوفود الزائرة ، وحضور ضيوف مهمين لمخاطبة المجلس ، والقيام بالنشاطات السياسية كالمسيرات وإصدار البيانات وإرسال الرسائل وقد اصبح هذا العمل مستقرا وواضحا في نشاط المجلس . والخلاصة هي انه اصبح للمجلس مكان في النظام السياسي وحضور في الحياة العامة للمجتمع . كما اصبح له دور في العلاقات البرلمانية الدولية وفي ما يسمى بالدبلوماسية البرلمانية)) .

هذا ما أفادنا به السيد رئيس المجلس الوطني ونحن نكتب ما تمخضت عنه تصوراتنا من الدور الذي اضطلع به الدكتور سعدون حمادي في عملية إدارة وتطوير هذه المؤسسة الشعبية الوطنية ودورها في تعزيز الديمقراطية في العراق وإيصال صوت الشعب إلى المسؤولين.

ففي محاضرة ألقاها الدكتور سعدون حمادي في المعهد القضائي التابع لوزارة العدل في ١٩٨٦/٣/١٥ وضح الدور الذي يقوم به المجلس في تعزيز الممارسة الديمقراطية في العراق .

بدأ المحاضرة بالحديث عن الخلفيات الفكرية التي هي ذات اثر مهم في تكوين الأفكار الديمقراطية التي يقوم عليها النظام الحالي والمجلس الوطني.

فأفكار الديمقراطية في العراق الآن -كما يرى -تقوم على أساسين:

الأساس الأول : هو أفكار التراث العربي الإسلامي من جهة وأفكار التراث العالمي من جهة أخرى .

الأساس الثاني : ما يوحيه الانفتاح على العصر وربما كانت هذه هي السمة الأساسية لتفكير حزب البعث العربي الاشتراكي فهو حزب قومي يتأثر بالتراث والتاريخ وموروث الأفكار ذو اثر في تفكيره ولكن هو في الوقت نفسه منفتح على العصر ويصوغ أفكاره على أساس ما يلائم المجتمع حاليا وما هو ذو صلة بتاريخه .

ثم يستمر في سرد التطور التاريخي والسياسي للديمقراطية في مختلف دول العالم التي مورست فيها الديمقراطية وأنواع الديمقراطيات ومنظريها ومن ثم يتحدث عن الديمقراطية في التراث العربي الإسلامي منذ أن مارس العرب هذا النظام في حياتهم ومن ثم يتحدث عن الأفكار الأساسية للديمقراطية في نظر حزب البعث العربي الاشتراكي ويفصل الحديث عن نظامنا الديمقراطي من خلال اختيار المواطنين لممثليهم في المجلس الوطني الذي يصفه الدكتور حمادي بأنه التركيب الأساسي للبناء الديمقراطي .

الفصل التاسع
المفكر

في صباه كانت منابع ثقافته الأولى وبذور تفكيره لا تتعـــدى حـدود الثقافة الدينية والأدب العربي بسبب المحيط الذي أحاط به وعاش في ظله. فاصطبغت ثقافته بالصبغة الدينية والأدبية حتى بدأ يطـــل بقراءاتـــه فـــي الصحف العراقية والمجلات المصرية على آفاق جديدة في الثقافة فتبلورت عنده أفكار جديدة تطورت فيما بعد إلى آفاق أوسع واتجاهات قادته في مـا بعد إلى أن يغير ما كان يعتقد انه من الثوابت الفكرية ... كان هذا بعـد أن حط الرحال في بيروت حيث الانفتاح الفكري وحريـة العمـل السياسـي والدعوة للقومية العربية مما رسخ أيمانه بالأفكـــار القوميـــة الوحدويـــة وتغيرت نظرته للتاريخ وبدأ يفلسف واقع الأمة ويبحث عـــن المعالجـــات السليمة لأمراض المجتمع العربي وإيجاد الحلول الناجعة من اجل النهوض بالأمة والارتقاء بها فتعلق بالأهداف القومية للأمة العربية ودافـــع عـــن الموروث الحضاري لها وانتظم في صفـــوف حـــزب البعـــث العربـــي الاشتراكي عضوا ومسؤولا قياديا في لبنان وهو طالب في الصف الثـــاني من الجامعة الأمريكية وازداد تعلقه بالفكر القومي ودفاعه عـــن الوجـــود القومي ونضاله من اجل قضايا العرب والعروبة. عندما رحل إلى جامعـــة ويسكانس في الولايات المتحدة الأمريكية حيث اصبح من دعـــاة القوميـــة والوحدة بسبب ما شاهده من مظاهر التعلق القومي والتعبئة في هذا الاتجاه وما تقوم به الصهيونية هناك من نشاط عدائي للعرب . وقد ذكرنا ذلك في مكان آخر من هذا الكتاب .

وهو عندما يكتب كانت الفكرة تختمر في ذهنه قبل أن يخطها بقلمـــه ولما سأله أستاذه في جامعة ويسكانس بالولايات المتحدة عن ذلك كـــانت إجابة الدكتور سعدون حمادي لأستاذه كالأتي : ((الفكرة عنـــدي تـسبق الكتابة، وهو الأمر الطبيعي كما أظن، والفكرة تسبق الكتابة بمدة طويلـــة

أحيانا، أما مصدر الفكرة فهو المصدر المعتـــاد: المعانـــاة الشـــخصية أو الحوار مع الآخرين أو القراءة و المشاهدة العابرة . إنني بطبعي داخلـــي أي انظر إلى داخلي اكثر مما انظر إلى خارجي لذلك فـــإنني أعـــد مـــن مشغولي البال اكثر من الاعتيادي ولهذه الصفة مزايا ومساوئ . إننـــي ذو طبع يميل إلى ابقاء الأمور التي تعترضني في العمل معي بعـــد انتـــهاء العمل وهو أمر متعب للجسد ومنغص للحياة الطبيعية إلا انه في الوقـــت نفسه مصدر لكثير من الأفكار والمقترحات . اذن فالفكرة عندي هي نقطة البداية وما كتابتها إلا عملية تفريغ للأفكار واخراجها للخارج ...)).

ويتحدث الدكتور حمادي عن الكتابة في حد ذاتها: ((فقد تساعد علـى تطوير الفكرة ولكنها ليست المصدر الأول لذلك...))

فهو يستغرب من استطاعة بعض الصحفييـــن أن يكتبـــوا يوميـــا أو بمواعيد ثابتة محددة سلفا فذلك يتطلب أحيانا أن يجلس أحدهم للكتابة مـــن دون أن تكون لديه فكرة مسبقة ألحت عليه ليخرجها مكتوبـــة . يجيـــب: ((أنني بالطبع لا أستطيع ذلك)) .

وفيما يخص آلية الكتابة فهو يجد صعوبة في البداية مع وجود الفكرة، أي كيف يبدأ ولكن هذه الصعوبة تقل كلما تقدم في العمل وهو لا يعـــرف سبب هذه الصعوبة ويتساءل : هل أنها تعود إلى اجتياز الحد الفاصل بيـن الفكرة وبين كتابتها أي الانتقال من حال إلى حـــال ؟ أم أنـــها الصعوبـــة الميكانيكية المعروفة عن دوران العتلة، فالعتلة عندما تكون ساكنة تحتـــاج إلى جهد لتدويرها في البداية وبعد ذلك يصبح تدويرها اكـــثر ســـهولة – فذلك ما يحدث له دائما عندما يجلس للكتابة – دون أن يدخل في العمليـــة بسبب الصعوبة التي يحسها للبدء بما جلس من اجله.

وبعد إكمال الكتابة يشعر بلذة وسعادة وارتياح – هذا مـــا صرح بـــه وأثبته – ويصف تلك الحالة كمن اخرج شيئا من داخله وهو لا يـــدري إن كانت السعادة إيجابية بمعنى الارتياح الجديد بحد ذاته أم أنها سلبية بمعنـــى

التخلص من عناء موجود وهو عناء الفكرة الحبيسة التي لم تخرج بعـــد.
ومهما يكن فهو يصفها بسعادة طالما تمتع بها واحسها بعـد كـل إنجـاز
كتابي يقوم به وليس بعد النشر . وهو يوضح الفرق بين الحالتين قـــائلا:
((أنني اكتب وأراجع ومن خلال المراجعة اجري الكثـــير مــن التنقيــح
ولكنني لا أغير الفكرة جوهريا فلا ابدأ بشيء وانتهي بشيء آخر وقليلا ما
حدث أن كتبت شيئا ومزقته والسبب هو ما ذكرته أن عملية التقييم تتم في
فترة التفكير قبل البدء بالكتابة . أما المساعدة في التحرير فقليـــل لا بــل
نادرا ما احصل عليها فأنا أقوم بنفسي بجميع تلك المتطلبات وهـــو أمــر
مرهق إلا أنني اعتدت مؤخرا على طلب المعاونة من بعــض المعــارف
لمراجعة ما اكتب لغويا خوفا من الاعتداء على اللغة العربية التي بذلــت
جهودا من اجل حمايتها وسلامتها)).



مركز دراسات الوحدة العربية

تجديد الحديث عن القومية العربية والوحدة

الدكتور سعدون حمادي

كتاب تجديد الحديث عن القومية العربية والوحدة

قرأ الفلسفة في الصف الثاني في الجامعة الأمريكية وتـأثر بفلسفة ديكارت وبيكون لكن قراءاته تلك يمكن عدها اللبنات الأولى في بنائه الفكري الفلسفي وتطلعاته المستقبلية في السياسة ، ولكن حدثت إضافات كبيرة على ثقافته السياسية وبسبب من ميوله الشخصية .

درس الفكر السياسي من سقراط حتى العصر الحديث في بحر سنة دراسية كاملة في جامعة ويسكانس عام ١٩٥٤ . وعن ذلك يقول: ((...ولعل أهم ما جلب اهتمامي في هذا المجال آراء الحقوق الطبيعية والنظام الطبيعي وأساس قيام الدولة على العقد الاجتماعي عند جون لوك ومفكري الثورة الفرنسية ، والثورة الأمريكية . كما احتل هيجل مكانا في تطوير نظرية التناقض وتطور التاريخ والإرادة الروحية التي تسيره...)) كان ذلك هو أساس تفكيره الذي تبلور فيما بعد والذي أطلق عليه التناقض الاجتماعي والذي يدور في المجتمع العربي بين دعاة النهضة القائمة على الوحدة والعدالة والتقدم من مختلف الطبقات وبين معارضيها من مختلف الطبقات .

وبذلك يكون الصراع قوميا اجتماعيا وليس طبقيا كما تذهب اليه الماركسية . يقول الدكتور حمادي : ((... انني أرى وحتى الآن أن عملية التناقض والصراع مستمرة في التاريخ فكل جديد يصبح بمرور الوقت قديم فيظهر جديد آخر يصطرع معه وهكذا كان التطور . ان اثر هيجل واضح في هذه الآراء ، وان كانت هناك فروق بين النظريتين...)).

ودفعته الرغبة إلى دراسة شيء عن التاريخ السياسي الأمريكي فتعرف على أفكار واضعي الدستور الأمريكي وآرائهم في نمط الديمقراطية وبشكل الحكومة التي تمت إقامتها وهي من حيث الجوهر تقوم على الأسس الفلسفية لنظرية ، الحقوق الطبيعية والعقد الاجتماعي

نفسها . وكانت تلك الدراسات الواسعة في السياسية والفلسفة والاقتصاد ذات اثر بارز في تكوينه الثقافي .

لقد كان من المؤمل أن يؤدي اطلاعه على المذاهب الفكرية ودراسة النظريات المنمقة العالية المستوى إلى الاستغراق والإعجاب، وبالتالي إلى الذوبان في هذه أو تلك من الآراء ، ولكنه في النتيجة خلص إلى أن تلك النظريات كانت نتيجة ظروف سابقة وهي انعكاس لوضع اجتماعي واقتصادي أو سياسي ساد وقت ظهور تلك الأفكار والنظريات ولم تعد مفرداتها جميعا تصلح للتطبيق في ظرف معاصر كالظرف الذي تعيشه امتنا العربية المجيدة .

يعبر الدكتور حمادي عن النتائج التي تمخضت عنها تلك الأفكار والآراء تلك بقوله : ((... اننا يجب أن ندرس ونطلع على النظريات المختلفة ولكن يجب علينا أن نعرف حدود الفائدة من ذلك فهي مفيدة للاستنارة وتحفيز الذهن وعلامات استرشاد ليس اكثر .فعلينا أن لا نعدها تعبيرا عن الحقيقة التامة بل علينا أن نبحث عن الحقيقة بأنفسنا مستعينين بمعرفة ما توصل اليه الآخرون ...)).

وقد فصل ذلك في مقال أعده عام ١٩٦٨ ولم ينشر في حينه بصورة مستقلة بل نشر بين ثنايا كتاب صدر فيما بعد تحت عنوان : آراء حول قضايا الثورة العربية . خص القسم الأول من المقال الثورة وبعض قضايا العلم ، أوضح فيه الدوافع غير الموضوعية لكثير من النظريات في الفلسفة والسياسة والاقتصاد .

وانعكس تطوره الفكري في المحاضرة الأولى التي ذكرناها عند الحديث عن دراسته في جامعة ويسكانس عندما اصبح رئيسا لجمعية الطلبة العرب ونشرها فيما بعد في مجلة الآداب البيروتية عام ١٩٥٥ ، والمقالة الثانية التي نشرتها المجلة نفسها في عددها الثالث عام ١٩٥٧ وتحت عنوان : الواقعية والفكر العربي المعاصر . والمقالتان حسبما يقول

الدكتور حمادي نفسه : ((تمثلان محاولة لوضع أساس فكري لمبادئ حزب البعث العربي الاشتراكي .والفكرة المركزية فيهما هي القول بوجود قوة روحية تنظم الكون وتدفع في اتجاه تطوره نحو الأفضل، وان هذه القوة الروحية المتمثلة في الضمير الموجود في كل إنسان هي التي تفسر التقدم وهي التي تقف وراء الصراع المستمر في المجتمع العربي من اجل الارتقاء الذي هو التوحيد والعدالة والنهضة...)) . يعبر عنها الدكتور حمادي بالنظرة الأخلاقية النهضوية التي يعدها أساس القومية العربية التي كانت أساس ظهور كل النهضات العربية في التاريخ .

ويمكن عد المقالتين المذكورتين باكورة إنتاجه الفكري السياسي الذي ينشر في مجلة عربية مُعروفة استطاع من على منبرها بث بعض أرائه السياسية فيما بعد وان ينال شهرة على امتداد الوطن العربي .

وقد عبر عن وجهة نظره في العمل القومي العربي المستقبلي خلال ندوتين حضرهما في باريس عامي ١٩٨٧ و ١٩٨٨ ضمن الندوات التي دعا أليها القائد المؤسس احمد ميشيل عفلق عام ١٩٨٥ وانعقدت أولى دورة عام ١٩٨٦ في باريس . تلك الندوات التي حضرها عدد من السياسيين والمفكرين العرب واخذ المشروع اسم مشروع العمل القومي المستقبلي ، وقد أجريت خلال تلك الاجتماعات مناقشات واسعة حول الوضع العربي وخاصة ما يتعلق بمستقبله .

يلخص الدكتور حمادي الفكرة بقوله : ((أن التجربة الماضية قد دللت على أن العمل القومي الذي مارسته الهيئات و الأحزاب والمنظمات يحتاج إلى إعادة نظر . فالمشروع العربي الذي وضعه الحاضر قد دخل مرحلة انحسار وهو ما استدعى العمل على بث الحياة فيه أو إعادة تأسيسه ذهنيا وأيديولوجيا وتحويله إلى تيار تاريخي جديد انطلاقا من التجربة الماضية ، أي بداية مرحلة جديدة في المشروع القومي وان هذا المشروع ليس حزبا وليس جبهة كما انه ليس نقيضا للأفكار وللأحزاب وانما يبدأ من حيث

توقفت هذه وتلك كما انه ليس منسقا بين الأحزاب بل مصححا ومتجاوزا لها ويمكن أن يتعامل مع الأنظمة ... انه مشروع مستقبلي لانه وحدوي...)) .

ويتحدث الدكتور حمادي عن أهمية الوحدة العربية التي لاشيء يرقى إلى أهميتها وهو ما يؤيد كل خطوة وحدوية بغض النظر عن نظامها الاقتصادي أو السياسي أو الاجتماعي ... فإذا حصلت فرصة لتوحيد قطرين عربيين فهو شيء لا يرقى اليه شيء لذا يجب أن لا نضع عليه أي شروط . وان هذه الوحدة قد لا تتحقق مرة واحدة بل لابد من مراحل وعلينا عدم تبسيط الوسائل فإلى جانب النضال الجماهيري يجب عدم استبعاد العمل السياسي والاقتصادي والعسكري بصفتها قوى يمكن اللجوء أليها لتحقيق الوحدة .

والموضوع الثالث الذي تحدث عنه في الندوة المذكورة هو العلاقات بين الأنظمة العربية التي يتوجب عليها أن لا تقوم على القوة لذا يجب استبعاد التآمر العسكري أو الاستخباري أو العنف الإعلامي وسيلة لتحقيق أي هدف مهما كان ساميا .

والموضوع الرابع أو المسالة الرابعة التي طرحها الدكتور حمادي في ندوة العمل القومي المستقبلي هو تحديد الصراع في المجتمع العربي المتمثل بين جبهة التقدم المتطلعة إلى توحيد الوطن العربي وبين جبهة رجعية تعمل ضد هذه الأهداف .

ومن طروحاته في الندوة المذكورة أيضا مسالة تحقيق الديمقراطية التي تحتاج إلى روح الحاكم والى آلية أي التنظيم الذي يحافظ على الموقف محددا آلية العمل التي تتمثل في فصل السلطات والتعددية والمنافسة وتوزيع السلطة وسيادة القانون وحرية الرأي .

كما تضمنت الورقة التي قدمها للندوة المذكورة الموافقة على فكرة المشروع المستقبلي الذي يحتاج إلى تحديد الأداة ، كما اقترح إنشاء أمانة

عامة تضم عددا من الأشخاص تمثل أهم الاتجاهات والأقطار التي تــهتم بالقضايا الاستراتيجية وليس اليومية ولها قيادة مصغــرة ومطبــوع وان يكون كل ذلك خارج الوطن العربي مؤقتا . ثم اقــترح تكويــن رابطــة للأحزاب ذات التوجه القومي في الوطن العربي على أساس الحد الأدنــى من العمل القومي .

ويتفاعل الدكتور حمادي كثيرا من النتائج التي تتمخض عنها مثل هذه الندوات الفكرية التي يعدها البداية في دراسة مستقبل الأمة العربية ويجب أن تستمر لنخرج بنتائج طيبة مبنية على أسس رصينة للنهوض بــالعمل القومي المستقبلي والاستفادة من التجارب النضالية السابقة في بناء مرحلــة جديدة قائمة على أساس فكري قومــي ثــوري واحــد يدمــج الحــاضر بالمستقبل.

وكان أخر ما كتبه عن الوحدة العربيــة بحثــا بعنــوان :المشــروع الحضاري العربي ومستقبل العمل الوحدوي وكان قد أعده لنــدوة كــان مقررا لها أن تقام في تونس تدعو للوحدة العربية ، وقد دعــي العــراق للاشتراك فيها إلا أن الندوة لم تعقد ولم يتسن للدكتور حمادي- الذي اختير بان يكون ممثلا للعراق فيها – الحضور وبقي البحث عنده ولم ينشر وقــد وعد القراء بنشره مستقبلا .

فالدكتور حمادي كان يرحب بكل مبادرة للحديث عن موضوع الوحدة في أي قطر من أقطار الوطن العربي . وقد قال لبعض أصدقائه بأنه على استعداد للذهاب إلى ابعد مكان ولأي مكان إذا كان يتيح فرصة للدعــوة للقضية القومية المهمة .

لماذا الاهتمام بالوحدة العربية ؟

- الوحدة العربية جزء مهم وركن أساسي من أركان تفكــيره وعقيدتــه التي أمن بها ودافع عنها وكتب فيها... الوحدة العربية الركن الأول فــي

تفكيره القومي وهي القضية المركزية التي تحتل المكان الأول في تفكير الدكتور سعدون حمادي الذي يعتقد أن الوحدة ليست هدفا من بين الأهداف وليست واحدة من ثلاثة أو أربعة أو أي عدد من المثل العليا بل هي الهدف الأول وان لم تكن الهدف الأخير فهي مفتاح كل تقدم ونقطة البداية للنهضة التي بدونها لن يتحقق أي هدف آخر ولن تكون هناك نهضة عربية من الأساس .

ترسخت هذه الأفكار في ذهنه بعد الذي حصل في الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ من انتكاسة هزت الضمير العربي الحي وأثارت نوازع الانسان الحريص على مستقبل امته ووطنه. من هذا المنطلق انبثق مركز دراسات الوحدة العربية .

مركز دراسات الوحدة العربية :-

أن التفكير بالوحدة العربية هو المحرك الذي حرك الدكتور حمادي لعمل شيء من اجل تحقيق تلك الفكرة فهو يقول : ((وبعد تأمل وتقليب للأمور توصلت إلى أهمية العمل الثقافي في هذا الاتجاه لأنني مقتنع بان التفكير يسبق العمل فإذا استطعنا أن نغير تفكير الإنسان استطعنا أن نجعله يتجه للعمل .

وبذلك تبلورت فكرة تأسيس مركز للبحوث والدراسات عن موضوع الوحدة يمد الرأي العام بسيل من الكتابات التي تستطيع بمرور الوقت أن تعيد بناء الوعي القومي وتوجهه نحو الوحدة العربية...)).

وقد بدأت الدعوة لتأسيس هذا المركز في دمشق فجرى الاتصال ببعض الشخصيات القومية وتم تحضير مشروع بيان وجمع تبرعات لإصداره . ثم توسعت المشاورات وامتدت إلى بيروت. وتمخضت الجهود المتظافرة المخلصة بعد عقد ندوات متتالية ومناقشات طويلة عن تأسيس مركز لدراسات الوحدة العربية متخطيا بذلك كل الصعاب والعقبات التي

وضعت في طريق تحقيق الفكرة، نعم لقد تمخضت الجـــهود والأبحـاث والمقالات عن ولادة مركز دراسات الوحدة العربية عام ١٩٧٥ .

بدأ المركز عمله وانبثق مجلس أمنائه الذي يضم أعضاء من مختلف الأقطار العربية ممن آمنوا بالوحدة العربية وعملوا من اجـل المشـروع النهضوي القومي وكان أول رئيس لمجلس أمنائه الدكتور سعدون حمادي.

راحت مجلة المركز (المستقبل العربي) تنشر الأبحاث الجـادة فـي سبيل نشر الفكر القومي ومعالجة المشكلات العربية بكل أشكالها وصورها وراحت مطبوعات المركز تنهمر متوالية دون انقطاع تصب في مصـب عام ضمن الإطار القومي العربي التحرري .

وقد سعى الدكتور حمادي إلى عقد ندوات تدور محاور أبحاثها فـي نطاق الفكر القومي الوحدوي وكذلك اخذ يحرر البيانات ويجمع التواقيـع من لجل الهدف نفسه ونشرت تلك البيانات في البداية في مجلة دراسـات عربية في الأعوام ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ وكانت لنكسة الخامس من حزيـران ١٩٦٧ الأثر البالغ في التمسك بالوحدة والدعوة إلى تحقيقها لانتشال الأمـة العربية مما هي فيه من تمزق وضعف وقد ناشد في واحـدة مـن تلـك المقالات المثقفين والحكام العرب إلى تبني هذه الدعوة والابتعاد عن كل ما يشين اليها أو يؤدي إلى إضعاف الأمـة العربيـة ليتمكـن العدوانيـون والطامعون والإمبرياليون النيل من أبناء العروبة لحين قام لتأسيس مركـز دراسات الوحدة العربية كما ذكرنا .

استمر الدكتور حمادي يكتب من بغداد المقالات السياسية التي تعـالج أمراض الوطن العربي الفكرية والاقتصادية والاجتماعية ينشرها تباعا في مجلة دراسات عربية في بيروت حتى كان عام ١٩٧٥ وهو العام الـذي انبثق فيه مركز دراسات الوحدة العربية ليكون الاداة الفاعلة في تحقيـق أهداف القومية العربية والمنبر الحر لنشر الوعي القومي وإذاعـة الفكـر العربي التحرري بين الجماهير العربية.

وقد قام المركز فعلا بنشر كتب وكراريس ودوريات كلها تحقق الأهداف التي أسس المركز من اجلها فكان للدكتور حمادي - بالرغم من مسؤولياته ومشاغله في العراق - نصيب من ذلك ، حيث جمع تلك المقالات ومن ثم نشرها في كتاب مستقل بعنوان : تجديد الحديث عن القومية العربية والوحدة... الكتاب الذي استطاع المؤلف نفسه من إيصال محتوياته إلى الملوك والرؤساء العرب الأعضاء في مجلس التعاون العربي ، ناهيك عن أصدائه في المحافل الدولية والسياسية واستحسان القارئ العربي للأسلوب الذي عالج فيه قضايا الفكر القومي الوحدوي بدليل نفاد نسخه المطبوعة منذ أن رأى النور .

ومازال المركز يرفد المكتبة العربية بالجديد من المؤلفات التي تتبنى المشروع النهضوي العربي وتبرز خصائص الفكر العربي والحضارة التي ساهم بها الاباء والأجداد وما زال ابناؤهم وأحفادهم يعملون ويسعون من اجل إبراز معالمها وبيان دورها الفاعل في تقدم العربي ورقيه وبناء الفكر الإنساني وخدمة البشرية عامة .

ملاحظات في أطروحة التشاؤم: -

بعد أن برزت في الساحة السياسية العربية أطروحة تجديد الفكر القومي في أعقاب العدوان الثلاثيني على العراق عام ١٩٩١ كان هناك إحباط يتردد في كل مكان ولما كثر الحديث عن مسالة تجديد الفكر القومي وعندما اخذ الحديث عنها يجر إلى حديث تشاؤمي فحواه التشكيك بإمكانية الوحدة العربية، وجد الدكتور حمادي نفسه أمام مسالة مهمة يجب التصدي للحديث عنها لذلك كتب مقالا في ثلاثة أقسام سماه: ملاحظات عن أطروحة التشاؤم .

الأول في تجديد الفكر القومي الذي خلص فيه إلى أن الوضع العربي الذي أصابه الوهن والتفكك يحتاج إلى التوحيد يتحدى واقعه المعاش

وتوثيق الاتصالات العربية التي تقرب العرب بعضهم من بعض وتزيد من تفاعلهم واتحادهم .

أما المقال الثاني فكان بعنوان : العناصر الإيجابية في الوضع العربي حيث حاول أن يضع مقابل ما هو سلبي التطورات الإيجابية في الوضع العربي.

أما المقال الثالث فكان يحمل عنوان الإرادة والتقدم أوضح فيه معنى الإرادة وقوة الإنسان الكامنة التي لو استيقظت لعملت اكثر بكثير مما يظن أن بمقدوره أن يعمله .

نشرت تلك المقالات في اكثر من جريدة عربية عام ١٩٩٥.

الوحدة والواقع المفترض في حدود التصور :-

استطاع الدكتور حمادي من منطلق تصوراته العميقة في الوحدة العربية بالمنظار البعثي الذي آمن به وعمل من اجله ، أن يستقرئ الصورة الافتراضية التي تدور في رأس كل عربي يريد جوابا عنها ... انه أسلوب نم عن دقة في الملاحظة وسرعة في الخاطر لم يسبقه إليه أحد من الذين كتبوا عن جانب مهم كالوحدة العربية ، وقد رأينا أن نقتبس ما يهم البحث من تلك الأسئلة استجلاء لرأي الدكتور حمادي في الوحدة العربية، أمل كل الشرفاء من أبناء هذا الوطن الكبير .

س : تحدثت في معالجة قضايا القومية العربية وفي مقدمتها قضية الوحدة ...ما هي نظراتكم الراهنة والمستقبلية لهذه القضية من الجانب الفكري والعاطفي ؟

ج : إن قضية الوحدة العربية التي هي محور حياة العرب تمر الآن بمرحلة هبوط في الفكر والعاطفة. لذلك فهناك مسؤولية قومية تقع على جميع المؤمنين بها ويستتبع ذلك وجود مهمة لجميع المناضلين من أبناء الشعب العربي تدعوهم للعمل من اجل اجتياز مرحلة الهبوط . إن قضية الوحدة العربية تعاني من حالات الانقسام في الوطن العربي والقطيعة

الاقتصادية وقطع العلاقات الدبلوماسية، وقد أدى ذلك إلى حدوث فتور في الحماس ونمو مشاعر المرارة وضعف الأمل والركود العاطفي نحو هذه القضية المصيرية . وليس أدل على مجمل هذا الانحسار في الفكر والعاطفة نحو الوحدة العربية من قلة ترديد هذه القضية في اكثر وسائل الإعلام وقنوات الثقافة الجماهيرية والأدب والفنون اللهم إلا في بعض الأقطار العربية التي تبنت قضية الوحدة وكانت شعارا من شعاراتها وهدفا اساسيا من أهدافها أو تبني بعض الأحزاب القومية على امتداد الوطن العربي التي ما انفكت تطالب بتحقيق هذا الهدف القومي النبيل المشروع .

ان عملا ثقافيا مهما لابد أن ينجز من اجل إزالة حالة الفتور هذه ، فالتفكير العربي بحاجة إلى هزة والعاطفة بحاجة إلى من يثيرها .

أن الخطير في هذا الوضع هو أن فرصا للوحدة ربما تظهر – وقد ظهرت فعلا – في مرحلة الهبوط هذه معرضة للضياع .

فالشعب العربي والقادة العرب الذين يقومون هذه الفرص من وضع الهبوط ومن خلال منظار العتمة معرضون لخطأ التقليل من أهمية هذه الفرص ومن إمكانية نجاحها وبالتالي قد يتسببون بضياعها . ولكن للموضوع جانبا آخر لا يقل أهمية عن ذلك أبدا وهو أن جيلا يترعرع ويتثقف الآن في ظل مرحلة الهبوط هذه . فأفكاره ومعتقداته وثقافته العامة آخذة في التكوين في مناخ بارد بازاء قضية الوحدة والقومية العربية . لذلك لابد من مواجهة الموقف والسعي لإيجاد مناخ ثقافي يكفل تحقيق الهدف القومي .

س : من خلال بحث علاقة الوحدة بالنظام الاقتصادي . هل أن الوحدة هي الاشتراكية ؟ وبتعبير آخر. هل الوحدة مع الاشتراكية ؟ أم مع الرأسمالية ؟

ج – أن الوحدة ليست هي الاشتراكية لسبب بسيط هو أن الوحدة يمكن أن تتحقق في ظل نظام اشتراكي دون أن يؤثر ذلك على الوحدة ،

كما أن الوحدة يمكن أن تتحقق ونظام الدولة الجديدة نظام رأسمالي ومــن دون أن يؤثر ذلك على الوحدة . فالوحدة لا تزداد أو تنقص ولا تختلــف في معناها باختلاف النظام الاقتصادي المطبق فيها . والدول التي تتحـد وتكون دولة جديدة واحدة لا تزداد وحدتها ولا تنقص ولا تتأثر وحدتــها بشيء ولا يختلف معناها بشيء باختلاف نظامها الاقتصادي .

فالوحدة مسألة غير مسألة النظام الاقتصادي والاختلاف لا يعني فــي هذا المجال إطلاقا التماثل كما لا يعني إطلاقا التناقض .

س : ما هو مفهوم الدولة لديك ؟

ج – الدولة مؤسسة من المؤسسات المتعددة ، والمؤسســة بتعريفـها الاعتيادي المقبول تقريبا هي عبــارة عــن مجموعــة قواعـد للسـلوك والتصرف يتبعها مجموعة من الناس ، هدفها تكييف ســلوك وتصـرف الفرد من ناحية واكثر ليكون منسجما مع تلك القواعد والــهدف العـام . فالنقابة والنادي والجمعية العلمية والحزب السياســي والديـن والشـركة والدولة كلها مؤسسات بهذا المعنى ، فحواها الحقيقي مجموعة من القواعد أو القوانين التي تهدف إلى تكييف تصرف الأفراد حسب مقتضيات الهدف العام للمؤسسة ، والدولة كمؤسسة بهذا المعنى تتضمــن مجموعــة مــن القوانين (المكتوبة وغير المكتوبة) وقواعد السلوك والتصرف التي تعمـل كلها من اجل تحقيق الانسجام بين سلوك الفرد وهدف المجتمع ومصلحتـه واستمراريته وتلك هي كما يقال قواعد اللعبة .من ذلك نستنتج منطقيــا أن الدولة القطرية لابد أن تؤثر على سلوك الأفراد فيها ، بخاصــة الأفـراد الذين يشكلون نظامها السياسي.

فالنظام الوحدوي العقيدة لا يستطيع أن يحكم وان يستمر إلا بالانسجام مع قوانين الدولة نفسها المنسجمة هي بدورهــا مــع مصلحــة القطـر . والقوانين التي تشرع والقواعد التي تولد في المجتمع لا يمكن إلا أن تكون منسجمة مع الدولة ، أي مــع مصلحتــها واوضاعــها المحــددة ومـع

استمراريتها ، إذ لايمكن تصور العكس ، ولو حدث ذلك لما استطاعت الدولة أن تبقى أو أن تستمر .

صحيح هناك إمكانية وجود قوانين أوسع من مصلحة الدولة ، كما من الممكن أن تتطور في المجتمع قواعد للسلوك ذات أهداف أوسع من ذلك ، ولكن كل ذلك في حدود بقاء الدولة واستمراريتها .

هناك قوانين أساسية لايمكن أن تكون إلا قطرية ، والنظام السياسي لا يمكنه تجاهلها أو إلغاؤها ، وهو مضطر إلى التكيف معها كالقوانين التي تتطلب المحافظة على حدود الدولة وسلامة أراضيها وسيادتها التامة. وهكذا يصبح النظام الوحدوي بمرور الوقت مطبقا لقوانين الدولة القطرية ومنسجما معها ، لا بل أن الانسجام مع بعض القوانين وتطبيقها يكون واجبا وطنيا وتصبح المصلحة الوطنية (القطرية) قيمه عليا وهدفا ساميا .

وصفوة القول أن الدولة القطرية تنطوي بذاتها على عامل موضوعي يؤدي إلى تكييف سلوك النظام الوحدوي إلى حد ما مع الأوضاع القطرية ومصلحة الدولة القطرية .

س : هناك عوامل وإجراءات تتخذها الدولة القطرية تؤدي في النتيجة إلى تعزيز الاتجاه الوحدوي. هل يمكن توضيح تلك الأسباب والتأثيرات التي تنجم عنها والنتائج النهائية التي تفرزها ؟

ج : التثقيف القومي داخل المنظمات السياسية التي تضطلع بمسؤولية الحكم في الدولة القطرية وذلك بتنظيم حملات ثقافية معاكسة للميول التي تنشأ عن الظروف القطرية تأخذ شكل حملات منظمة واسعة النطاق تتناول وسائل الثقافة وقنوات التربية العامة كافة .هناك مجال آخر من الممكن القيام بشكل مفيد فيه للغرض الذي نتحدث عنه وهو التقريب بين القطر الذي يقوم فيه النظام القومي وبين الأقطار الأخرى بكل ما تعنيه عبارة التقريب .

فالنظام الحاكم يقود السلطة السياسية ويسيطر عليـــها وبيـــده اتخـــاذ القرارات ، لذلك فمن الممكن جدا أن ينهج منهجا من شانه أن يربط القطر الذي يحكمه بالأقطار العربية الأخرى في جميع المجـــالات الاقتصاديـــة والثقافية والاجتماعية .وزيادة الروابط هذه من شانها أن تخلق وضعا مـــن التشابك وتبادل المصالح والعلاقات المعنوية والمادية المتقابلة التي تشـــكل بمجموعها قوة ضاغطة في اتجاه الوحدة أو على الأقـــل معدلـــة للميـــول القطرية وصمام أمان ضد ما ينتج عنها .

هناك أمور كثيرة يمكن أن تعمل في مجال تسهيل تجـــارة المـــرور وانتقال اليد العاملة وحرية عمل العمال الفنيين وغير الفنييـــن واصحـــاب المهن والخريجين بدلا من معاملتهم معاملة رعايا الدولة الأجنبية كما هـــو متعارف عليه دوليا . هناك مسالة حرية السفر إلى الأقطار العربية وحرية الإقامة وحرية التجارة والتعامل وتبادل السلع وعقـــد اتفاقيـــات التبـــادل التجاري بين مختلف الأقطار العربية وهو عين ما يفعله العراق اليوم .

والخلاصة أن القول بأهمية مثل هذه الإجراءات يجـــب أن لايعنـــي إطلاقا أنها كافية أو أنها تؤدي تلقائيا إلى الوحدة أو أي شيء من ذلك .

فالنظام الوحدوي المبدئي الذي يحكم في دولة قطرية لم تؤثر العوامل القطرية المتأتية من صميم أوضاع الحكم ومقتضيات الدولة على تحقيـــق الوحدة العربية وإضعاف الميول القطرية. فالوحدة لا يصنعها إلا العمـــل الارادي المخلص .

س : من أرائك المعلنة : "أننا نستطيع غرس الايمان بفكرة الوحـــدة عن طريق التعليم وان الفكرة هي نقطة البداية فـــي العمـــل...". كيـــف توضحون هذه الفكرة ؟

ج : مما يتبادر للذهن أن غرس الأفكار عن طريق التعليـــم تنطـــوي على الغرض وعدم فسح المجال لحرية الاختيار ، وتدخل في هذا المجـــال أمور عديدة معقدة كتعريف الحرية وتطبيق التعريف في الواقع وعلاقـــة

ذلك بالتقدم الاجتماعي وكل مسالة العلاقة بين البحث النظـــري المجـرد وبين البحث العلمي المعقد . وبالرغم من كل تلك التعقيـدات بإمكاننـــا أن نشير إلى مسالة جوهرية هي ان التعليم المتجه لغرس المثل العليـــا فـــي ثقافة الجيل لاينتقص من حرية الاختيار بل على العكس فهو طريق تقويـم المجتمع وتحقيق نهضته وبناء الجيل يؤدي إلـــى تعزيـز الحريـة . ان المجتمع الذي يحقق النهضة والتقدم هو المجتمـــع الـــذي يمتلـك حريـة الاختيار والعكس صحيح . ان غرس المثل العليا في الجيـــل ان هــو إلا ايقاظ للجانب المثالي الروحي في الإنسان ، والوحدة العربية كمثل أعلـــى بالنسبة لامة مجزأة كأمتنا تعتمد نهضتها ومستقبلها لا بل وجودها علـــى تحقيق تلك الوحدة . ان غرس الأيمان بالوحدة هو كغرس الأيمان بالحرية والاستقلال وهو كغرس الأيمان بقيم العدالة واستقامة السلوك وبقية القيـم الروحية . فغرس الأيمان بهذه القيم هو عملية ايقـــاظ للضمـير وتغليـب للجانب المثالي في الطبيعة البشرية على الجـــانب الحيوانـــي . فغـرس الأيمان بالوحدة ليس فرضا على الإنسان بل هو في الحقيقة تحريـــر لـــه وبين ذلك وبين التعصب فرق شاسع .

إن تحقيق الوحدة العربية ليس من قبيل الأهداف السياسية اليومية بـــل مثل أعلى وهو في حياتنا الحاضرة أعلى تلك المثل .

س : إحياء الأدب العربي وبعث التراث وتعميمه هل يعــــزز الثقـــة بالوحدة العربية ؟

ج : دراسة التراث العربي وتحليل محتوياته ضروري لتعزيز القناعة عند الجيل الجديد بان الأمة العربية أمة مبدعة ومتحضرة وقـــادرة علـــى المساهمة الإيجابية في تكوين حضارة إنسانية يشع بريقها على العالم اجمع كما يعزز الثقة بالنفس ... الثقة العميقة وليست التعصب ... انها تلك الثقة التي تخرج الإنسان من حياة الفراغ واللامبالاة إلى حياة العمل والجد وهي

التي تجعله يعرض عن التقليد والاستعارة ويسلك طريق الإبداع الذاتي وخلق الأشياء الجديدة .

فالوحدة العربية يغذيها تراث مشترك من القيم الروحية كرسها الإسلام والموروث الحضاري للقيم العليا التي ورثناها منذ اقدم العصور.

س : هل تتحقق الوحدة العربية بالتعليم ؟

ج : الوحدة العربية عملية سياسية تتناول تغيير واقع مادي وسياسي له مؤسساته وقواه . التعليم يستطيع أن يساعد في تحقيق الوحدة أي أن يكون عاملا ظهيرا لعملية سياسية تقودها حركة الوحدة العربية .

س : بدأت حياتك أديبا ونظمت قليلا من الشعر ، وتذوقته ووظفته في مجال بث الوعي القومي. ماذا ترى على الأديب عمله في مجال جلب الانتباه إلى ضرورة ترسيخ النظرة لوحدة الوطن العربي؟ وعن أي طريق يمكن أن يتحقق ذلك ؟

ج : افضل الشعر ما كان معبرا عن الشعور القومي ولا يمكن أن نعزل الأدب والشعر عن الوضع الفكري والثقافي والسياسي للامة التي ننتمي اليها ومتى ما كان الأدب صدى للحوادث والتطورات ذات المعنى القومي كمقاومة الاستعمار والاعتداء على السيادة والأمور التي تتعلق بسلامة الأرض العربية وقدسية حدودها الجغرافية مع جيرانها . إن كل ما يتعلق بوحدة قطر مع قطر آخر وكل ما يتعلق بتعاون الأقطار العربية جماعيا أو جزئيا يقع في هذا النطاق وأود أن أقول أن ترجيع الصدى والتجارب يجب أن لا يقتصر على النكبات والمحن بل يجب أن يكون في الانتصارات والأفراح أيضا . ان تجاوب الأدب مع ذلك ، وتحويله مادة للإنتاج من شانه أن يقوي الشعور بالوحدة العربية وبالرابطة القومية وينعش الوضع النفسي المتلائم مع القربى والانتماء الواحد والمصير المشترك ويضعف الشعور الإقليمي الذي يتكون بصورة تلقائية في ظل أوضاع التجزئة ويفتح ثغرة في جدار الحدود الإقليمية . ومقاومة ظواهر

الانقسام والأخطار الناجمة عنها وحوادث الفرقة في الوطن العربي وما يجره من مآس تضر بوحدة الأمة كلها يجب معالجته وهذا مما يعزز طريق الوحدة القومية ويرسخ الأسس التي تنشدها الأمة العربية في حاضرها ومستقبلها .

س : متى ستتحقق الوحدة العربية ؟ هذا السؤال سأله مواطن عربي وكان الجواب :

ج : الوحدة العربية ثورة بكل معنى الكلمة ، ستغير كامل الوضع في الوطن العربي ، وسيكون لها تأثير دولي من دون شك ، وستكون نقطة البداية لمرحلة إيجابية بالنسبة إلى الحضارة البشرية ، وعندما يكون الأمر كذلك أي بهذا الحجم من الأهمية فليس المعقول أن يكون بمقدور أحد أن يعطي جوابا محددا عن سؤال يتعلق بتحديد الوقت وهو أمر غير ممكن لان الأمر يتعلق بتغيير في المجتمع أي انه أمر اجتماعي بشري وليس امرا يتعلق بقوانين الطبيعة وليس المهم أن تعرف الوقت المحدد لقيام الوحدة بل أن نعمل من اجل تحقيقها. مع الأيمان بحتمية تحقيقها علينا أن نعمل ونبذل أقصى جهودنا من اجل أن تتحقق وذلك هو المهم فذلك هو الذي يحقق الوحدة وليس المعرفة الذهنية بتاريخ تحقيقها . فتحقيقها أمر حتمي، تتحقق لا محالة آجلا أم عاجلا ، والسبب في ذلك يرجع إلى قوانين كبرى تسير العالم الذي نعيش فيه ، فهو عالم تسيطر عليه إرادة سماوية عليا ... هذه الإرادة هي التي تسير الكون وتسيطر عليه وان للعالم إرادة خير تحكمه في النهاية . ان الله تعالى قد خلق الإنسان ووضع فيه نفحا من روحه تتجلى في ميول الخير الموجودة عنده إلى جانب الغرائز وميول الأنانية والشر . ان الكون الذي نعيش فيه لا يمكن أن يكون مصادفة عمياء كما أن التاريخ يدلل بكثير من الأدلة على وجود اتجاه عام صاعد نحو الاصلاح والتقدم تدل عليه ثورات الاصلاح والتقدم الحضاري وظهور الأديان . والإنسان ككائن حي وكوحدة يتكون منها

المجتمع ، فيه ميول غريزية أنانية ، إلا ان فيه ميولا للخير والمثل العليا ندعوها عادة بالضمير .

هناك صراع دائم بين ميول الخير وميول الشر في العالم إلا أن النتيجة النهائية هي تغلب ميول الخير ومن هذه العملية تنتج الحضارة والتقدم والإصلاح لذلك .

فالوحدة العربية في اتجاه التاريخ والوحدة نفسها في الاتجاه الصاعد وهي في اتجاه خير الإنسان العربي وبعبارة أخرى أنها مع الخير والحق والمثل العليا للإنسان العربي . ان انتصار إرادة الخير في الأمد الطويل على ميول الشر أمر حتمي إذ أن تقدم الإنسان أمر لا مفر منه وعلى ذلك فالإنسان العربي لابد من أن يحقق التقدم الذي ينشده ، المتمثل بالوحدة العربية التي لن تتحقق بالأماني بل بالتضحيات والإيثار والعمل الجاد المخلص ومواجهة أعداء العروبة ودعاة الإقليمية .

س : لماذا تتقدم الواجبات على الحقوق ؟

ج : عندما يكون الوطن مهددا يحيط به الأعداء غايتهم الاساءة والاعتداء وتدنيس ترابه الطاهر فيجب ترجيح كفة الواجبات على الحقوق.

وقد ضمن تلك الفكرة الوطنية هذه في محاضرة ألقاها في اكثر من مكان ونشرتها الصحافة بعد ما كان يتردد من حديث حول موضوع الحقوق خلال السنوات المفعمة بالتضحية والمصاعب خلال الحرب مع إيران ، فقد كان قصد الدكتور سعدون حمادي أن يثبت ان الحقوق لا تترتب إلا عندما تقابلها واجبات وان تأدية الواجبات في الظروف الحرجة يجب أن تتقدم على كل شيء، وكانت المحاضرة تلك درسا نفيسا في التربية الوطنية وتفتح أذهان الجماهير من اجل الوطن والمواطن .

الفصل العاشر
الاقتصادي

لم يكن التوجه الاقتصادي طارئا على تكوين منحاه الفكري ومعــــالم ثقافته . لقد بدأت الثقافة الاقتصادية تنمو في حياته منذ أن انخـــرط فـــي دراسة إدارة الأعمال في الجامعة ببيروت والتي لم تكن في مبعـــدة عـــن الاقتصاد كما تقرر ذلك المقارنات الأكاديميــــة لدراســـات العلـــوم فـــي الجامعات الحديثة ، ثم وهو يدرس مادة الاقتصاد في المدارس الثانوية ثـــم وهو يكمل دراسته العليا في جامعة ويسكانس في المادة نفسها ليعود منـــها مدرسا للاقتصاد الزراعي في كلية الزراعة ببغداد ليردفها ، وبعد فـــترة انقطاع مارس فيها الصحافة والعمل السياسي والحزبـــي، بـــالعودة إلـــى اختصاصه ولكن ليس في داخل العراق بل في القطر الليبي عندما عمـــل خبيرا في البنك المركزي هناك واصدر كتابا في التضخم النقدي لم يحمـــل اسمه لاسباب خاصة .. ثم ليعود إلى العراق عام ١٩٦٣ وزيرا للاصلاح الزراعي تبعها عمله في سوريا كعضو في مكتب اقتصادي شـــكله مـــع زميلين له هما الدكتور بشير الداعوق ، والدكتور عدنان شـــومان تـــابع لمجلس قيادة الثورة السوري وقد هيأ هذا المكتب للقرارات الاقتصادية في تأميم القطاع الواجب تأميمه ومن خلال هذا المكتـــب قدمـــت دراســـات اقتصادية مهمة عن أوضاع الشركات في سوريا وعن قـــانون الاصـــلاح الزراعي وقد وضعوا منهجا مرحليا لتطبيق قانون الا صلاح الزراعي في القطر السوري ،ودرسوا قانون الجمعيات التعاونية وقانون اتحاد الفلاحين. ويتابع الدكتور حمادي القول : "بأن أهم عمل قام به المكتب الاقتصـــادي هو التهيؤ للقرارات الاقتصادية التأميمية وان المكتب كان قد هيأ دراســـات واسعة جدا نفذ أكثرها وأهمل البعض الاخر حسب المقتضيات السياســـية في سوريا . وبعد ٢٣ شباط انسحب الدكتور حمادي مـــن التعـــاون مـــع

السلطة السورية الجديدة وراح يعمل في مجـــال وظيفـــي آخــر ضمــن مؤسسات الأمم المتحدة الاقتصادية أستاذا للتخطيط الاقتصادي في معـــهد التخطيط التابع للأمم المتحدة بدمشق وكان ذلـــك عـــام ١٩٦٤ .واســـتمر يحاضر ويؤلف وينشر عن قضايا اقتصادية حتى انبثاق ثـــورة الســـابع عشر -الثلاثين من تموز ١٩٦٨ ليعود رئيسا لشركة النفط الوطنية ومنـــها وزيرا للنفط .

أنها رحلة ليست بالقصيرة حافلة بالإنتاج قدر ما هي مفعمة بالتجارب التي استفادها بحكم طبيعة عمله وعزز بها دراساته الاقتصادية ثم لم يبخل بتلك التجربة على الفكر الاقتصادي وأربابه حين كتب الشيء غير القليـــل عن الاقتصاد الزراعي والمال والنفط وادارة الأعمال والمؤسسات . كانت كتاباته ستراتيجية بالنسبة للمنهج الاقتصـــادي فضـــلا عـــن المؤسســـات والشركات الكبرى في العالم ويمكن أن يعد قسم كبير من تلك الآراء إمـــا برنامج عمل متكامل أو تطوير لهذا البرنامج أو ذاك ، وهو في كل آرائـــه الاقتصادية يحاول أن يعطي المنظور المستقبلي لحركة الميدان الذي يكتب فيه حتى انه ليعد بحق خبيرا في ذلك الميدان ومنـــها ميـــدان الاصـــلاح الزراعي أو النفط أو التمويل أو ما شابه ذلك .

النفط في الوضع الدولي الراهن

لقد استمر اهتمامه بالشؤون الاقتصادية منذ أن بدأ يعلمه في المدارس الثانوية إلى أن تسنم قمة الاقتصاد في العراق المتمثلة بوزارة النفط، فوظف ثقافته جلها لهذا الاهتمام وكان أول عمل ثقافي اقتصادي قام به في مناسبة عامة هو إلقاء بحث عن :

النفط في الوضع العربي الراهن ، في الندوة الفكرية الثانية التي نظمها مكتب الثقافة والأعلام في القيادة القومية للحزب عام ١٩٩٢ أوضح فيها ما حدث في الناحية النفطية قبل العدوان الأمريكي الثلاثيني على العراق وكيف ارتفع الإنتاج ؟ ومن كان وراءه ؟ ... الخ .تضمن هذا البحث دراسة اقتصادية مستفيضة عن النفط والوضع الدولي الجديد قدم له بمقدمة ضافية سلط فيها الضوء على وضع النفط في الأقطار العربية وعلاقة هذا المورد بالسياسة التي تتبعها الدول الكبرى لا سيما الولايات المتحدة الأمريكية إزاء الوطن العربي في المرحلة الحالية المتسمة بانتهاء الحرب الباردة وظهور القطبية الأحادية الأمريكية وظهور بوادر انفراد الدول الاستعمارية الغربية .

استطاع الدكتور حمادي أن يتوصل إلى استنتاجات بخصوص العلاقة بين الجانبين سياسيا واقتصاديا .

فالعلاقة بين السياسة والنفط هي علاقة ملحوظة ومعترف بها في ضوء الوقائع والمعلومات المعروفة .

يؤلف الاحتياطي العربي من النفط الخام اكثر من ٧٠% من احتياطي العالم من هذه المادة . والدول الصناعية تمثل المركز في استهلاك الطاقة والاعتماد على النفط ، فأوربا الغربية واليابان تكاد تعتمد كليا على النفط المستورد، أما الولايات المتحدة الأمريكية فهي بلد منتج للنفط ومستهلك له إلا أن الملاحظ هو الانخفاض المستمر في الإنتاج وهو يورد جدولا يبين فيه نسبة انخفاض الإنتاج وازدياد الاستهلاك فيها لهذا عمدت إلى زيادة

الاستيراد من النفط العربي . وفي تقرير لمحلل نفطي نشره عام ١٩٩٠ يتوقع أن الولايات المتحدة سوف تصبح في غضون السنوات القادمة المستورد الصافي لاكثر من نصف النفط وهذا ما حدث فعلا في الوقت الحاضر .

وان ما يحدث اليوم في الساحة العراقية والعدوان المستمر على العراق من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وتابعتها بريطانيا وما فعلته في الامس القريب من شنها حربا ضروسا ضد العراق كان كله بسبب النفط الذي تروم السيطرة عليه لضمان مصالحها بما في ذلك السيطرة على العالم الصناعي في أوربا واليابان. ويورد الدكتور حمادي مقولة لجورج بوش الرئيس الأمريكي الأسبق بقوله للملك حسين عند مقابلة الأخير له "أنه لا يستطيع أن يقبل أن يسيطر الرئيس صدام حسين على ٤٠% من احتياطي النفط العربي" وكان ذلك البحث حافزا للدكتور حمادي للقيام بدراسة متخصصة حول موضوع انخفاض أسعار النفط بسبب زيادة الإنتاج من قبل بعض الدول المنتجة والحلول الناجحة لتدهور أسعار النفط نتيجة لسياسة إغراق السوق العالمية بهذه المادة الحيوية المهمة .

وفي بحث له اعده في نهاية ١٩٩٩ وضع النقاط على الحروف لتفادي التدني والتدهور الذي ساد أسعار النفط في العالم مما أدى إلى انخفاض الأسعار نتيجة لسياسة الانتاج واغراق السوق العالمية بالنفط . وفي دراسة أعدها الدكتور حمادي في السنة نفسها يحدد مبلغ الخسارة للعراق وبقية الدول المنتجة للنفط ويقدم جداول اقتصادية مهمة تعزز دراسته الاقتصادية ويوضح فيها حجم الخسائر المالية نتيجة تلك السياسة التي أضرت باقتصاديات الدول المصدرة للنفط ويحدد في دراسته تلك الدول التي اتبعت سياسة إغراق السوق العالمية بالنفط والتي أدت في النهاية إلى انخفاض أسعار البرميل الواحد من النفط إلى السعر اللامعقول وهو سبعة دولارات.

وفي هذا المقال يحاول الدكتور حمادي أن يوضح الخسائر الهائلة من جراء تلك السياسة ويحدد مسؤولية الدول المنتجة للنفط ويقول : "ان الجزء الأعظم من صادرات الأقطار العربية من النفط يذهب للدول الصناعية التي حددها في الدراسة بعشر دول والمعروف أيضا أن الجزء الأعظم من واردات البلاد العربية سلعا وخدمات هي من هذه الدول نفسها فإذا كانت الأسعار وهي المورد الأول للعملة الصعبة للبلاد العربية لا تستطيع أن تكون بالمستوى الذي يجعلها قادرة أن تشتري برميل النفط سلعا وخدمات مساوية لما كانت تشتريه في ١٩٧٤ على الأقل فان ذلك يعني انه بسبب التضخم في الدول الصناعية العشر وبسبب انخفاض سعر الدولار الذي تبيع به النفط فأنها تفقد من قيمة عائداتها سنويا ، وان الفوق يذهب لهذه الدول بالذات . أن ذلك يعني تسرب جزء مهم من ثروتها لمصلحة الدول العشر التي تتعامل معها بتصدير النفط واستيراد السلع والخدمات ... " .

" ... أن الذي ينتج هذه المادة المهمة الناضبة التي تشكل العمود الفقري لتكوين راس المال والحصول على العملة الصعبة ، له كامل الحق بحماية القوة الشرائية لصادراته".

ويخلص في دراسته الاقتصادية تلك إلى تحديد بعض نتائج تخفيض أسعار النفط منذ عام ١٩٨٦-١٩٩٨ أدت تلك الزيادة في الإنتاج وخفض الأسعار إلى تحقيق خسائر مالية للأقطار العربية وأوقعتها في مشاكل تنموية وتحملت بسببها أعباء مديونية كبيرة كان من الممكن حلها فقد ذهبت بتلك الأموال للدول الصناعية الغربية المستوردة للنفط العربي .

النفط سلاحا في المعركة :-

النفط قوة هائلة بيد العرب تستطيع أن تؤثر به بصورة جوهرية في سياسة الدول الغربية ولاسيما الولايات المتحدة لو استطاع العرب استعمالها والوقوف مع العرّاق بدلا من الوقوف مع أمريكا . أنها قوة

حقيقية مادية غير مستعملة من قبل الأنظمة العربيـــة الثلاثـــه الأخـــرى السعودية والكويت والإمارات العربية المتحدة . أن استخدام هـــذه القـــوة العربية المشروعة اقتصاديا وسياسيا أمر ثابت المشروعية لذلك فان عـــدم استخدامها لا يعود أبدا لهذا الجانب بل للإرادة السياسية .

ويواصل الدكتور حمادي الحديث فيقول : " أن المفارقة الصارخة بين القوة المادية المتاحة بيد هذه الأقطار ولاســيما السـعودية الحـق افـدح الأضرار بالمصالح العربية سياسيا واقتصاديا ولاسيما في مجال الصـــراع العربي الصهيوني" وبهذا كان العراق سباقا لرفع هذا الشعار وهو (النفـط سلاحا في المعركة) مع ادارة الشر في الولايات المتحدة ومع الصهيونيـة وقد بدأ بتطبيقه اثر الحرب مع الكيان الصهيوني في ١٩٧٣ حيث صـــدر قرار الدول العربية وحظر تصدير النفط إلى الولايات المتحـــدة وهولنـــدة وطبق العراق ذلك القرار كما أضاف اقتراحا بتأميم المنشآت النفطية ولـــم تحصل الموافقة من الأقطار العربية على مقترحه في الاجتماع المذكور.

كان لأجراء تخفيض انتاج النفط وحظر تصديره إلى أمريكـــا الأثـــر الكبير في اقتصاديات أوربا الغربية وأمريكا وان لم يدم ذلك طويـلا إلا أن أثره كان بعيدا وكان أول قرار تتخذه الأقطار العربية . واستمر العـــراق يدعو إلى استخدام النفط سلاحا في مقاومة العدوان وحتى في ظل ظروف الحصار الجائر على العراق استخدم هذا السلاح وشهره بوجه الدول التـي تساند العدوان على الشعب العربي الفلسطيني وعلى شعبنا فـــي العـــراق المجاهد .

ومادمنا نتحدث عن النفط واقتصادياته وشؤونه ودور الدكتور حمادي في تحديد الأسلوب الأمثل لاستغلال هـــذه الـثروة التـــي شـــغلت بـــال الاقتصاديين العرب والأجانب لان النفط اســـتخدم فعـــلا فـــي إضعـــاف الاقتصاد العراقي قبل العدوان الثلاثيني وبعده وبذلك لـــم يعـــامل النفـط كقضية اقتصادية لا علاقة لها بالسياسة بل على العكس اســـتخدم النفـط

سلاحا سياسيا ولكن بصورة معكوسة فبدلا من أن يوضع لخدمة المصالح العربية وضع لخدمة المصالح الغربية لا سيما مصالح الولايات المتحدة الأمريكية .

ففي الوقت الذي تزداد فيه أهمية النفط العربي بالنسبة للدول التي تقف في الطرف الآخر من الصراع مع الأمة العربية وفي الوقت الذي تزداد فيه أهمية هذا السلاح في ردع العدوان الأمريكي الصهيوني وترتفع درجة فعاليته لخدمة المصالح القومية المشروعة لا سيما الصراع العربي الصهيوني وفي الوقت الذي يزداد فيه الكيان الصهيوني تعنتا وإصرارا على قمع الانتفاضة الفلسطينية وسفك دماء إخواننا وشعبنا في فلسطين وخنق الأنفاس وإزهاق الأرواح وإحراق المدن وتهديم البيوت والقضاء على كل ما هو عربي أصيل في الأرض المحتلة وما يحدث اليوم على الأرض المقدسة في فلسطين المغتصبة من مجازر وحشية يقترفها الصهاينة وبمباركة ودعم الولايات الأمريكية ففي ظل هذه الظروف الصعبة التي يمر بها الشعب العربي في فلسطين وما يعانيه شعب العراق من قرارات جائرة وعدوان مستمر كان قرار القيادة الحكيمة في العراق هو قطع إمدادات النفط لمدة شهر مادام العدوان مستمرا على أبناء فلسطين المجاهدين المظلومين وقد حثت الحكومة العراقية الدول المنتجة إلى اتخاذ قرار مماثل ولكن لم تلق استجابة من لدن المسؤولين في تلك الأقطار هذا ناهيك عن المساعدات السخية التي أمر بها الرئيس القائد حفظه الله لابناء فلسطين .

"أن الوطن العربي اليوم يملك إمكانية اقتصادية هائلة وذات اثر سياسي واضح ومن حقه تماما أن يستخدم هذه الإمكانية لخدمة مصالحه المشروعة ولا سيما في مجال أمنه القومي والدفاع عن مستقبله الاقتصادي والسياسي إلا ان وضعا غير موات يمنع ذلك الآن هو الأنظمة الحاكمة في هذه الأقطار ألتي تتبع سياسة التحالف مع الطرف الثاني في

الصراع .فإذا كانت الأقطار العربية في عام ١٩٧٣ قد استطاعت وعن طريق حظر التصدير للولايات المتحدة ولمدة قصيرة من الزمن أن تؤثر في وضع العرب فانها اليوم تستطيع من دون شك أن يكون ذلك لها لو حزمت امرها واستخدمت هذا السلاح كما يجب أن تستخدمه .

أن الاستخدام المعكوس لسلاح النفط في العلاقة مع الولايات المتحدة وكل ما تنطوي عليه مسألة سوء توزيع الثروة بين الأغنياء والفقراء في الوطن العربي من مظالم وخيبة أمل وتذمر ستكون البواعث الحقيقية لنمو روح الثورة على هذا الوضع ..."

ويستخلص الدكتور حمادي من بحثه أن للنفط دورا كسلاح في ظل الوضع الدولي الراهن حيث تنفرد الولايات المتحدة الأمريكية في بسط نفوذها على العالم والانفراد بشؤون دول العالم الثالث من خلال آلية مجلس الأمن الذي يأتمر بأوامرها وكأنه دائرة تابعة للولايات المتحدة . وهكذا كان العدوان على العراق وما يجري على الأرض الفلسطينية من إرهاب وقتل وتشريد ضد العرب أصحاب الحق الشرعي . فالنفط وسيلة قومية من وسائل الضغط على الأعداء إذا ما استخدم استخداما وطنيا وقوميا فهو قوة رادعة للطاغوت الأمريكي الصهيوني ولكل أعداء العراق والامة العربية . فإذا ما توفرت الإرادة السياسية لاستخدام هذه القوة فستحقق الأمة والشعب انتصارا حاسما ضد الأعداء .

تدهور أسعار النفط وخطط التنمية :-

وفي كلمته التي ألقاها عند تكريم بيت الحكمة له في شهر تشرين الثاني سنة ٢٠٠١ تحدث الدكتور حمادي عن النفط من حيث تأثيره السياسي أو من حيث توفير راس المال الذي تحتاجه التنمية .

"ابتداء من ١٩٨٦ أخذت أسعار النفط بالتدهور وفقدان القوة الشرائية للبرميل بسبب فائض الإنتاج الذي تسببت فيه السعودية في الدرجة الأولى

وقد أدى ذلك إلى فقدان البلدان العربية المنتجة للنفط موارد مالية ضخمة كان بالإمكان استخدامها في التنمية العربية وقد بلغت خسائر الأقطار العربية المنتجة للنفط خلال الفترة من ١٩٨٦ إلى ٢٠٠١ حوالي (١,٢) ترليون دولار بسبب انخفاض السعر عن السعر الذي يحافظ على القوة الشرائية للبرميل كما كان في عام ١٩٧٤ وقد ذهبت هذه الثروة للدول الصناعية الغنية وفي مقدمتها الولايات المتحدة . وذلك مثال عملي للنقاش المتواصل في أوساط الأمم المتحدة حول اختلال شروط التبادل التجاري بين الدول الصناعية والدول الفقيرة حيث ترتفع أسعار السلع المصدرة من الدول الصناعية وتنخفض أسعار السلع المصدرة من البلدان النامية مسببة فجوة تتسرب منها الثروة من الفقراء إلى الأغنياء ..." ولم يستطع الدكتور حمادي جلب انتباه الرأي العام العربي لهذه القضية الاقتصادية الخطيرة بالرغم من دراسته لها في عام ١٩٩٢ وحتى العام ٢٠٠١ بعد تحديث تلك الدراسة الاقتصادية المهمة التي نشرها في عدد من المجلات العربية المعروفة وتحدث بها عبر وسائل الإعلام لم تقتصر ثقافته الاقتصادية على القطر العراقي وحسب بل عمت معلومات هامة في الوضع الاقتصادي العربي . ففي بداية سنة ١٩٩٤ وفي محاضرة له في جمعية الاقتصاديين ببغداد كانت له أراء سديدة في العلاقات الاقتصادية العربية استعاد فيها ذاكرته إلى السنوات ١٩٧١، ١٩٧٣ عندما كان رئيسا للجمعية المذكورة ، فقد تناول في محاضرته أمورا مهمة هي :

القوة الاقتصادية العربية المهمة - النفط - وكيف يجري التصرف بها ، واثر السياسة في ذلك . ثم قضية التفاوت الكبير في توزيع الثروة بين الأقطار الغنية والأقطار الفقيرة .

تعديل مواد اقتصادية في دستور الحزب

ومن الأمور التي يعتز بها الدكتور حمادي في الحقل الاقتصادي هو التعديل الذي اقترحه في دستور الحزب عام ١٩٨٣ بخصوص بعض المواد الاقتصادية والذي عمل به وثبتت بنوده فيما بعد .

يقول الدكتور حمادي : "أن المواد الاقتصادية الواردة في دستور الحزب في الوقت الذي تعبر فيه عن الاتجاه الاشتراكي إلا أنها لم تكن قد وضعت كما يبدو من أشخاص مختصين بالاقتصاد فجاءت صياغة مواده مرتبكة وفي بعض الحالات تنطوي على أخطاء فنية كما هو الحال في النص على منع أيجار العقارات وتوزيع الملكية الصناعية إلى وحدات صغيرة وهو ما يتناقض تماما مع الكفاءة الإنتاجية والتطور العلمي والتقني .

وفي إطار التحضير للمؤتمر القومي تم تكليف المكتب الثقافي القومي بتحضير التقرير الثقافي وقد قمت بتحضير التقرير الثقافي كما قمت بمراجعة مواد الدستور الاقتصادية ، ووضعت مسودة لمواد بديلة لتحل محل مواد اقترحت إلغاءها في الدستور . وتم عرض التقرير على المكتب الثقافي فوافق عليه ورفع إلى القيادة القومية .... وفي ٩٤/٦/٣٠ أعيد تعييني عضوا في المكتب الثقافي القومي وخلال أحد الاجتماعات ورد حديث عن المواد الاقتصادية في دستور الحزب فقلت كما كنت أقول دائما ان تلك المواد التي وضعت عندما وضع الدستور ولاول مرة في ١٩٤٧ في مؤتمر الحزب الأول لم تعد صالحة وهي بحاجة إلى مراجعة وتعديل وقد غاب عن ذهني ما حصل في المؤتمر القومي الأخير وقد فوجئت ان تلك المواد قد تم تعديلها وإبدالها .... وتمت الموافقة عليها حرفيا وتم ادخالها في الدستور المعدل. ولاهمية هذا التعديل ، وهو الان -على حد علمي-، على دستور الحزب (عدا تغيير اسم الحزب من البعث العربي إلى البعث العربي الاشتراكي) بلغ عدد المواد القديمة المعدلة سبع مواد

تتعلق بتحديد الملكية الزراعية والملكية الصناعية وحقوق العمال والملكية العقارية والإرث والربا والاشراف الحكومي على التجارة وغير ذلك مما يتفرع عن تلك المواد . وقد أجرى الدكتور حمادي تعديلات مهمة بما يتناسب والمستحدثات الاقتصادية الجديدة التي طرأت على الاقتصاد بعد عام ١٩٤٧ وهي السنة التي شرعت فيها تلك المواد التي مضى عليها خمسة عقود من الزمان أو اكثر من ذلك بقليل .

وربما كان البحث الاقتصادي الجاد الذي أنجزه مقالا عن التنمية والأنماط الاجتماعية الذي يقول عنه: "وكان أول ما لفت انتباهي لعلاقة التنمية بالوضع الاجتماعي هو الدرس الذي أخذته في الفصل الأول من دراستي الجامعية العليا في جامعة ويسكانس ، ذلك الدرس الممتع الذي يتكون منهاجه من بحوث مختارة من شتى المصادر التي كانت توزع علينا ... والذي يتناول مسألة مهمة هي أن التنمية تحتاج أو تؤدي إلى تغيير الأنماط الاجتماعية ، وعلينا أن لا نتطير من ذلك بل على العكس أن نرحب به . والمقصود بالأنماط الاجتماعية في الدرجة الأساس إضعاف التكوينات الاجتماعية القديمة المغلقة تقريبا كروابط القبيلة والقرية والمدينة والمذهب لحساب الرابطة الوطنية أي احلال العصبية الوطنية – ان صح التعبير – محل العصبيات الأخرى المتوارثة التي تسود في المجتمعات المغلقة في داخل الدولة فتوزيع المشاريع وتحديدا اماكنها يجب أن يكون على أساس الكفاءة الإنتاجية . فالأفراد يجب أن يتبعوا المشاريع وليس العكس وتزداد حركة السكان واختلاطهم لاضعاف الرابطة القديمة لحساب الرابطة الوطنية على حد رأيه ...".

أسس الاصلاح الإداري والاقتصادي في العراق

لم تقتصر جهود الدكتور حمادي على الاقتصاد العراقي أو العربي بل تعدته إلى دراسة الاقتصاد العالمي وما يحدث في العالم من تطورات وأحداث في عالم الاقتصاد فهو يقارن بين ما حدث في الاتحاد السوفيتي السابق عام (١٩٨٧) من إصلاحات اقتصادية ومدى الاستفادة من بعضها في قطرنا الذي يشهد إصلاحا اقتصاديا واداريا يقوده الرفيق الرئيس القائد صدام حسين – حفظه الله ورعاه – فقد نهض الدكتور حمادي لمناقشة تلك الإصلاحات بعد دراستها دراسة دقيقة مركزا الانتباه على النصوص المهمة ذات الدلالة الفكرية والتطبيقية التي وردت في (التقرير السوفيتي) وقد توصل إلى ملاحظات مهمة وتوصل إلى استنتاجات نشرها في جريدة الثورة سنة ١٩٨٧ بعنوان : الإصلاح الاقتصادي والإداري... نحن والتجربة السوفيتية . وقد اورد الآراء السوفيتية ثم ناقشها واستنتج الأتي : "أن ما ورد في هذا التقرير يدل بوضوح على أن التطبيقات النظرية إذا ما خرجت عن حاجات الواقع وتناقضت مع قوانين الطبيعة البشرية فانها تؤدي إلى الضرر بالصالح العام. وبعبارة دارجة أخرى : في النهاية لا يصح إلا الصحيح .

ان التنظيم الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي إذا ما أرسي على أسس متناقضة مع الطبيعة البشرية فان الذي يحدث في النهاية هو أن يفشل ذلك التنظيم لا أن تتغير الطبيعة البشرية . اننا في هذا القطر يقود فيه الرفيق الرئيس اليوم عملية إصلاح اقتصادي واداري مستوحاة من حقائق الواقع وطبيعة الإنسان . والمهم في كل ذلك هو أن الوصول إلى هذه النتيجة لم يتطلب وقتا ولم يتضمن تضحيات كالتي تحملته دولة عظمى (كالاتحاد السوفيتي) الأمر الذي يدل على ارتفاع مستوى قيادتنا في القيادة والتصاقها بالصالح العام .

أن ما جرى في الاتحاد السوفيتي يضيف دليلا جديدا على صحة ما نقوم به في العراق في مجال الاصلاح الاقتصادي والإداري.

لقد رفض فكر حزب البعث العربي الاشتراكي منذ البداية فكرة النظرية الكاملة الجاهزة التي تطبق على المجتمع بل قال بأهمية وضع المبادئ العامة وجعل النظرية (مجموعة النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية) تتكون بوحي تلك المبادئ ولكن بمرونة وبمرور الوقت وبضوء التجربة الحية . وقد اثبت واقعنا وواقع الآخرين أن ذلك كان صحيحا".



الفصل الحادي عشر
المؤرخ والمجمعي

النظرة والفحوى :-

قد يبدو للقارئ حين نطرح فكرة بحث هذا الجانب عند الدكتور حمادي أننا إنما نعني وصفه بالمؤرخ من ذلك النمط الذي درج عليه فهمنا لهذه الصفة ، أي انه قد تصدى لكتابة التاريخ على ذلك السياق المجرد الذي وصف به المؤرخون منذ عهد هيردوت إلى يومنا هذا ، وانه يمكن أن نعده واحدا منهم ، يسرد الحوادث سردا قد يكون استقرائيا أو استنتاجيا يتبع فيه منهاجا محدودا بحدود ذلك المعنى الواسع للتاريخ . والحق اننا إذا أردنا أن نسمه بهذه السمة (اعني سمة المؤرخ صاحب الحدود المتوازنة في العرض) فاننا نكون قد أضفينا عليه صفة جامدة قد تكون بعيدة عن حدود تخصصه المعهود كسياسي واقتصادي ومناضل قومي إذن ما الذي نعنيه من وصفه بالمؤرخ ؟ ترى هل هي هواية انتابت تفكيره للحظة من اللحظات ثم تلاشت من دون أن تترك أثرا يذكر في ثقافته ؟ أم هي نزعة اعتملت في نفسه فرسمت حدود تفكيره وتفسيره لظاهرة تاريخية معينة أو جانب تاريخي محدد؟ ولكي نعطي تفسيرا دقيقا لهذه السمة التي لم تكن لتحشر حشرا في نوازعه علينا أن نستفيد من تقرير ابن خلدون الذي تحدث عن التاريخ بأنه العمران بكل أشكاله وان البحث فيه إنما هو بحث في العوامل التي تكرس هذه الظاهرة الحضارية بكل معطياتها وسبل تطبيقها . ثم أن الدكتور حمادي اقتصادي بلا أدنى ريب وهذا يلزمنا لكي نؤمن بسعة قدراته في هذا المجال أن نقول عنه انه مؤرخ .فالاقتصاد جزء لا ينفصم عن العمران الذي ربطه ابن خلدون بالتاريخ العام، ثم انه سياسي ، والسياسي لابد أن يكون محيطا بالأحداث التي صنعت الدول وكونت الأمم وشادت الحضارات .

من هنا نخلص إلى أن التاريخ والسياسة والاقتصاد لها ترابط جدلي متوافق الأسباب محسوم النتائج . وهو حينما يطرح فكرة اعتبار الحاضر أهم من الماضي على غرار اعتبار الأحياء أهم من الأموات بمعنى من المعاني فانه لا يعني بذلك أن نطرح الماضي جانبا لكي نبني الحاضر على لا أساس ، أو أن تجربة الأموات مهما كبرت واتسعت إنما هي تجربة ماتت بموتهم لأننا بذلك سوف نحمله ما لم يقصده غيره من المتقدمين أو المتأخرين ، غير أنه يريد أن يقول – ان لم يكن قد قالها فعلا – بان لهذه النهضة مصلحة بمعنى أن لها متطلبات وشروطا وبمقدار ماتتوافر فاننا نستطيع خدمة النهضة والعكس (برأيه) صحيح. فهو يرى أيضا أن مصلحة الأحياء من خلال هذه النهضة هو المقصود المحدد للمصلحة التي يعنيها وحين سئل هل يجب أن تكون طريقة كتابة التاريخ منسجمة مع مصلحة التقدم؟ كان جوابه : نعم – لقد رأى الدكتور حمادي أن التاريخ يمكن أن يكتب بطرق مختلفة وبمناهج متباينة وتتباين تبعا لذلك درجة قربها من هذا الهدف أو بعدها عنه . وحين سئل : ما هو على وجه التحديد المقصود بمصلحة التقدم وماذا يحتاج التقدم من التاريخ من اجل أن تتحقق هذه الخدمة ؟ أجاب عن ذلك : انه يمكن أن يلخص بكلمة (معنوي) أي متعلق بالروح المعنوية للامة . ولكن كلمة معنوي المعروفة ليست ذات مضمون بسيط مفهوم فنحن نعرف القليل عن معناها الحقيقي . لذلك فنحن غالبا ما نطلق على كل ما هو غير مادي عبارة معنوي من دون أن نعرف محتويات هذه العبارة تماما كما يفعل الأطباء عندما يعزون الكثير مما لا يعرفون له تفسيرا إلى العوامل النفسية . وإذا أردنا أن نعرف نظرته إلى الموضوعية في كتابة التاريخ نجد انه يرى في تاريخ كل عصر ،وعصور تاريخنا العربي منها ، هناك الاتجاهات الكبرى العامة التي تسمى في بعض الأحيان (تجاوزا) ، بـ (روح العصر) وهناك إلى جانب ذلك تفاصيل الحياة اليومية . فالمهم (برأيه) هو أن

نحرص على أن تعكس كتابة التاريخ الاتجاهات الكبرى العامة معززة بأكثر ما يمكن من تفاصيل الحياة اليومية – أن وجدت – وهذا (عنده) هو معنى الموضوعية في كتابة التاريخ أو ما نسميه بتوخي الحقيقة .
وفيما يتعلق بتاريخنا العربي فانه يرى أن يكتب هذا التاريخ بطريقة موضوعية تتوخى الحقيقة المتمثلة في نقل الاتجاهات الكبرى العامة أولا فهو يقول : "انني متأكد من أننا لو كتبنا تاريخنا على هذا الأساس فأننا نكون قد خدمنا قضية التقدم ..."

كما انه يرى أن الكتابة الموضوعية لتاريخنا كفيلة بتوفير الدعم المعنوي لنهضتنا الحديثة والسبب – على حد رأيه – هو أن ماضينا كان في حقب متعددة منه قد شهد تحقيق نهضات هامة واهمها النهضة العربية الإسلامية والتي تعد حدثا حقيقيا في التاريخ قام على أسس ومبادئ ليس من الصعب معرفتها إذا ما رجعنا إلى مبادئ الإسلام وقيم الخلق الفردي عند العرب وسيرة القادة والأعمال التي أنجزت في تلك الحقبة ، فهو يرى أن هذه النهضة تشكل خطا صاعدا أو اتجاها عاما طبع مرحلة هامة من تاريخنا لا يمكن لأي أحد نكرانه . إذن فهي نهضة حقيقية سبق أن تحققت.

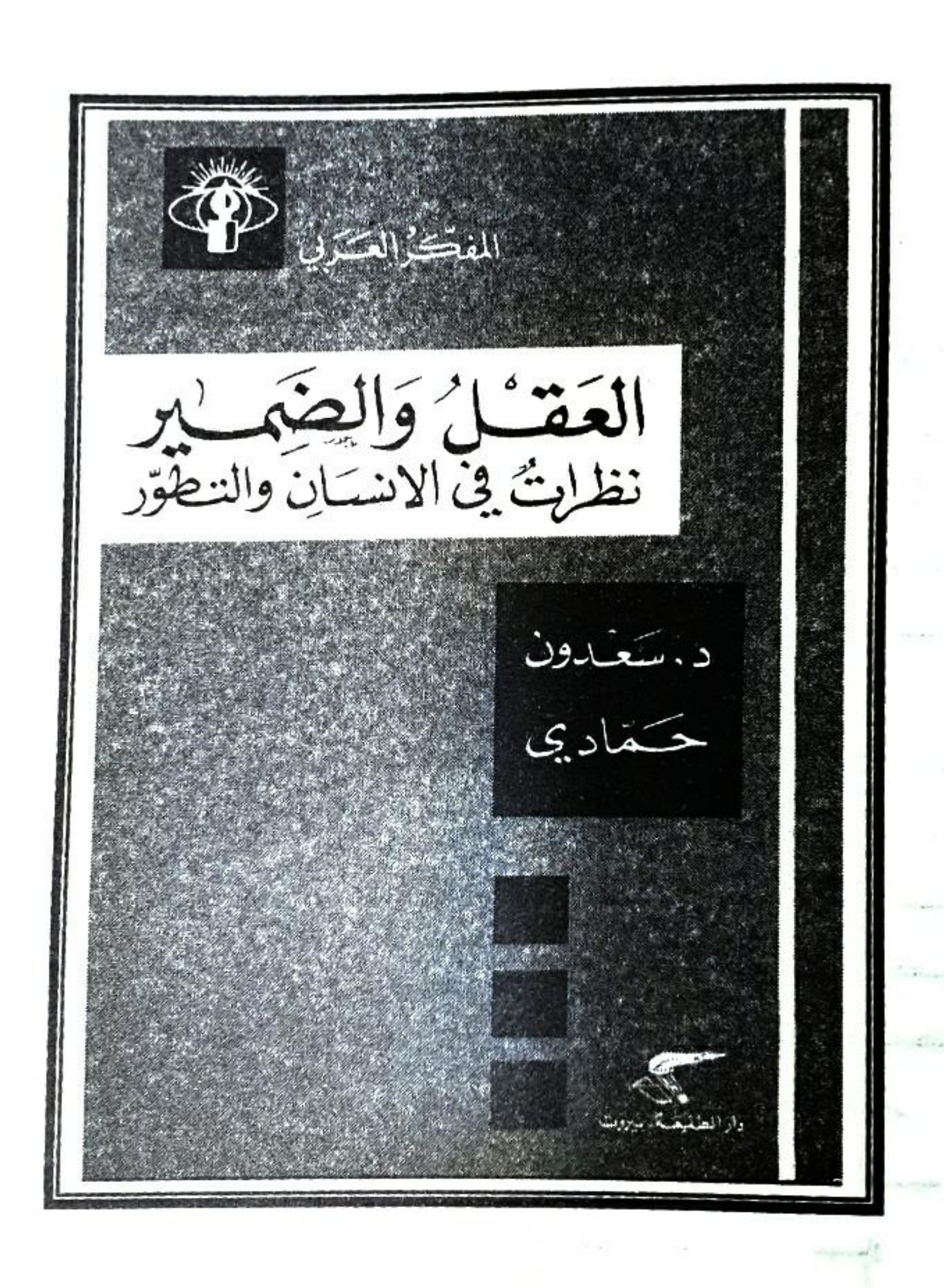
ويتساءل هنا : هل يستطيع كاتب التاريخ مهما كانت طريقته أن يتجاهلها ؟ ويجيب عن هذا السؤال بالنفي.

وحين يتعرض إلى المنهج الذي يجب أن يتخذه المؤرخ لنفسه وهو يكتب ظاهرة تاريخية أو خبرا تاريخيا نراه يلزم هذا المؤرخ بالإقرار لان مجرد ورود الحادث في كتاب تاريخي لا يعني بالضرورة انه صحيح لذلك لابد من دراسة ما يتعلق به ، أي معرفة الكاتب ، والوقت الذي كتب به ، وحياته الشخصية ، والظروف التي كتب فيها ...الخ .كما يجب تقييم الخبر على أساس من البدهيات العقلية والقواعد السليمة للقبول أو الرفض وهنا يتساءل الدكتور حمادي : هل يمكن تصديق أخبار متواترة غير

منسجمة مع الاتجاهات العامة للعصر الذي تتعلق به ؟ من هنا كان لزاما على المؤرخ عنده أن يعمل على تنقية كتب التاريخ مما لا يعقل وقوعه . كما انه يرى أن التخلف ، شانه في ذلك شان التقدم ، له أسباب وله صفات يجب أن تحلل وتقيم .فكما يهتم المؤرخ بمعرفة أسباب النهضة وتحليل القوى التي أوجدتها وتوضيح المبادئ التي تقوم عليها واستنتاج الخير الذي سببته للإنسان في نواحي حياته كافة كذلك على المؤرخ أن يهتم بتحليل وتقييم فترات التخلف لتتضح صورة المقارنة بين عصر وعصر ، وبين وضع ووضع ، وهو أمر لا ينتقص من موضوعية المؤرخ أبدا ، ذلك لان الموضوعية لا تعني النقل المجرد ولا تعني غياب الرأي كما أن القول بان كتابة التاريخ يجب أن يكون لها هدف خدمة التقدم لا يعني أننا يجب أن نحذف فترات التخلف من تاريخنا. وبذلك يرى أن فترات التخلف يجب أن تكون جزءا من التاريخ ويجب أن تدون تفاصيلها تماما كما هو الحال بفترات التقدم ولكن يجب أن يكون ذلك مقرونا بالتحليل والتقييم أي إبداء الرأي .

أنه يرمي من خلال طرحه لهذا الرأي مساعدة القارئ على الوصول إلى الحقيقة .

نخلص من ذلك كله إلى أن الدكتور سعدون حمادي يرى أن محور عملنا ونشاطنا (كمؤرخين) يجب أن يكون من اجل تغيير الحاضر وبناء المستقبل وان الكتابة عن تاريخنا وإعمام معرفته لدى أوسع الجمهور أمر لا يمكن أن يكون معرقلا لجهودنا لتغيير الحاضر نحو الأفضل ، بل على العكس من ذلك فالإنسان من اجل أن يعمل يحتاج إلى مثل أعلى وإلى روح معنوية تدفعه للعمل لتحقيق ذلك المثل الأعلى ومعرفة التاريخ عامل مساعد على ذلك من دون شك .



كتاب العقل والضمير

المجمعي

لتوافر المؤهلات التي توصل إلى عضوية المجمع العلمي العراقي اختير لهذا المركز المرموق عام ١٩٧٩ ثم اختير عضوا فخريا في مجمع اللغة العربية في الأردن إضافة إلى منصبه كوزير للخارجية في تلك الحقبة، وبازاء احتدام مشاغله في هذا المنصب الحساس وفي ظل تلك الظروف البالغة الخطورة كان له نشاط مذكور في أنشطة المجمع العلمي و أولها كتابة البحوث الفكرية التي تتعلق باهتمامه والتي نشرتها له مجلة المجمع فضلا عن حضور جلسات المجمع ومؤتمراته ومواسمه الثقافية . فكان يجد متعة ورضا وهو يستمع إلى علماء العربية من المجمعيين وهم يتحدثون عن قدسية اللغة العربية ويصفونها بالمحراب المقدس الذي لا يجوز للإنسان دخوله إلا بخشوع واحترام فكان يمتلئ سرورا لذلك لانه يرى أن المحافظة على سلامة اللغة العربية كونها من دعائم الرابطة القومية أمر ضروري بل هو من ثوابت الأيمان بالقومية العربية . وفي جهود المجمع العلمي العراقي لتعريب المصطلحات العلمية الأجنبية أو إحياء الأصول العربية للمصطلحات المستحدثة ، كان للدكتور حمادي موقف المؤيد الساند لهذا الجهد بما أوتي من قوة السعي المثمر والمخلص والمنتج ، فكان يلح على ضرورة حسن اختيار الألفاظ العربية المعبرة عن روح المصطلح العلمي بعيدا عن الحوشية المنفرة أو الاغتراب الشديد أو التزمت في اختيار المفردة الموحية التي لا تنسجم مع الإطار الفني للمصطلح وهو بهذا ينطلق من منطلق قومي حيث يعتقد أن المحافظة على سلامتها أمر جوهري ويتعلق بصميم الرابطة القومية فكان مسرورا غاية السرور لسعي المجمع العلمي في هذا السبيل.

وقد كتب إلى السيد رئيس الجمهورية يقترح إصدار قانون للمحافظة على سلامة اللغة العربية وجعل الاهتمام بها مهمة تضطلع بها الدولة وبالفعل صدر هذا القانون عام ١٩٧٧ باسم قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية كما اقترح ثانية إصدار تشريع قانون لإنشاء هيئة تتولى ذلك

كجهاز تنفيذي فصدر القانون عام ١٩٨٣ باسم (قانون الهيئة العليا للعناية باللغة العربية) مرتبطة بمجلس قيادة الثورة، وفي عام ١٩٨٤ تم تسمية أعضاء الهيئة وعين الدكتور حمادي رئيسا لها تضم من بين أعضائها وزراء الثقافة والتربية والتعليم العالي ومختصين آخرين في اللغة العربية. وأصدرت الهيئة مجلة متخصصة اسمها (الضاد) وحدد يوم للاحتفال باللغة العربية سمي يوم الضاد وقد نال ذلك السعي القومي استحسان المجامع اللغوية العربية.

والدكتور حمادي يرى ضرورة تعلم اللغات الأخرى إلا انه يرى أيضا ضرورة التدريس باللغة العربية في جميع مراحل التعليم فالجامعي يجب أن يعرف لغته أولا واللغة الحية الأخرى إلى جانب ذلك . وعندما طلب المجمع من أعضائه أن يقدموا بالتناوب سلسلة من الأحاديث والأبحاث رأى الدكتور حمادي أن من واجبه كعضو عامل في المجمع أن يقدم شيئا بالرغم من مشاغله الكثيرة، فقدم ثلاثة بحوث.نشرت كلها في مجلة المجمع العلمي هي:

أولا : محاولة في تفسير عملية التقدم ، طبعته مجلة المجمع (٢٨٩١) وهو بحث طور فيه فكرته التي كتبها سابقا في مقال (الإنسان والتقدم) .

ثانيا : موضوع كتابة التاريخ ، نشر في مجلة المجمع أيضا وقد ضم أفكارا جديدة في كتابة التاريخ خلاصتها. أن التاريخ يجب أن يكتب من منظور قومي ، وقد أشرنا اليه بالتفصيل في مبحث مستقل تحت عنوان (المؤرخ) .

ثالثا : شيء عن الموضوعية نشر في مجلة المجمع (١٩٨٧) وهو من الموضوعات المنهجية التي كانت لها مكانة خاصة في نفسه طرح من خلاله أفكارا جديدة لم يتصد أحد للكتابة عنها إلا النزر اليسير وقد ألقاه في اجتماع لأعضاء المجمع بدأه بتعريف الموضوعية ، وأصل التسمية وان درجتها تعتمد طرديا على درجة انفصالها أو خلوها من العواطف والرغبات والأهواء الصادرة عن الذات البشرية وكلما ابتعد الموضوع عن الذات كان موضوعيا وكلما اقترب منها كان ذاتيا . ومن هذا التعريف

أو التحديد ينطلق للحديث وبشكل فلسفي دقيق عن الغرض من الموضوعية ثم عن مصادرها وهو يعرج في أثناء حديثه على كثير من المصطلحات فيعرفها تعريفا ينسجم والاتجاه الفكري الحديث وربما تفرد في تلك التعاريف أو توضيحها كما حرص على أن تكون أمثلته من الواقع الحي المتواتر الذي تعيشه المجتمعات اليوم وقلما يضرب مثلا من التاريخ خصوصا إذا كان ذلك المثل لا ينسجم في طبيعته مع النوازع البشرية اليوم وهو رأي له أهمية وقد عرضنا جانبا منه في حديثنا عنه كمؤرخ .

وخلص إلى أن ميول اللاموضوعية النابعة من الأنانية ورغبات الذات من القوالب التي يكونها العقل البشري بفعل الزمن والعيش بضمن الجماعة ، يستطيع الإنسان أن يعمل لمقاومتها وللحد منها في الأقل .

وفي سنة ١٩٩١ وبعد تفرغه من مسؤولية العمل الرسمي انصرف كليا للكتابة والبحث في معتكفه المخصص له في المجمع العلمي الذي وجد فيه متسعا من الوقت افرغه في النشاط الثقافي والفكري فشرع في كتابة مقالات سياسية وفكرية بلغت اكثر من عشر مقالات عالج فيها القضايا السياسية ذات الجانب الفكري الوطني والقومي التي لم تسمح له ظروف العمل السابقة بالكتابة عنها .

رأي في الثقافة الحية

س : استقر في ذهنكم تعريف محدد للثقافة بوصفها سمة في التفكير السياسي الفاعل ، فما هي الأسس التي تقوم عليها ثقافتنا الاصيلة ؟

ج : اخذ الاهتمام بالثقافة يزداد من قبل القوى السياسية الفاعلة في المحيط العربي، والتعريف الذي استقر في ذهني للثقافة يقوم على أساس إضافة عنصر التأثير في السلوك إلى العامل المتعارف عليه وهو استيعاب المعلومات وبذلك اصبح المثقف – في نظري –ليس هو الذي يعرف بل هو الذي يعرف ويطبق ما يعرف في حياته وتصرفه اليومي . وذلك ما يفرق موضوع الثقافة المجردة عن الثقافة الحية المتأصلة .

وقد بحثت موضوع الثقافة العربية من مختلف الوجوه في بحوث عديدة قدمتها للندوات التي تم تنظيمها بالمشاركة مع المجمع العلمي في بغداد .

حاولت تحديد معنى الأصالة مقارنة بالمعاصرة وهو موضوع يجوي تناوله باتساع في الساحة الثقافية.

وقد نشر الدكتور حمادي بحثين عن موضوع الثقافة في مجلة دراسات عربية عام (١٩٩٦) – وكانتا في الأصل محاضرتين القاهما في جامعتي بغداد والمستنصرية– في بعض أعدادها الأولى بعنوان : تأملات في الثقافة، والثانية بعنوان : آراء نقاشية في الثقافة والتقدم .

الملاحـــق

ملحق رقم (١)

الكلمة التي القاها د. سعدون حمادي في حفل توزيع جوائز بيت الحكمة ٢٩/ت٢/٢٠٠١

أبتداء اود الثناء على هذه المؤسسة الثقافية التي جمع أسمها مدلولات الماضي والحاضر، فالماضي الحميد لبيت الحكمة معروف كما إن حاجة مجتمعنا للحكمة التي تهديه لطريق الارتقاء امر مسلم به ايضا. ومما يبعث على الرضا والتفاعل أن هذه المؤسسة الفتية قد بدأت بنشاط وحيوية وأخذت مكانا معروفا في الوسط الثقافي في العراق مع محاولة أن يتسع ذلك المكان ليشمل الوطن العربي وهناك مايدل على أن ذلك ليس ببعيد.

إن أهمية الاقتصاد في نهوض الأمم يحظى بدرجة كبيرة من اجماع المختصين بالعلوم الاجتماعية فقد تم التوصل لحل منطقي مقبول للجدل القديم حول المفاضلة بين التقدم المادي مقابل التقدم الروحي ان صحت هذه العبارات . فالتقدم المادي الذي يوفر الحد الدنى اللائق من الحاجات المادية للفرد- المتناسبه مع مرحلة التطور البشري- لابد أن يتحقق من أجل أرتقاء الفرد نحو التقدم الروحي. أما اهتمام غير المختصين من عامة الناس بمطلب التنمية فقد اصبح شعبيا شاملا يحظى بالاجماع او ماهو قريب من ذلك.

ان تعبير الاقتصاد السياسي تعبير شائع ومهما كان المقصود بذلك فأنه بنظري يعني اقتصاد الشؤون العامة ذات العلاقة بالدولة. وحول هذا المحور كانت اسهاماتي فيما كتبت ونشرت تقريبا. فكانت مواضيع الاصلاح الزراعي والتنمية والنفط هي المحاور التي اعرتها الاهتمام الاول.

في موضوع التنمية اود الاشارة الى مقال كتبته في ايلول ١٩٦٨ بعنوان: الثورة وبعض قضايا العلم اوضحت فيه ان التنمية لا تتحقق عن طريق تطبيق أي من النظريات المعروفة في الاقتصاد ، فالنظريات مهما كان ادعاؤها العلمي الا انها عند التحري عن ظروف المجتمعات التي

نشأت فيها يتضح انها جاءت استجابة لخصوصيات تلك الظروف، الامر الذي ينفي عنها صفة العلمية وصلاحية التطبيق في كل زمان ومكان. لذلك فأدوات التنمية يجب ان تختار من النظريات الموجودة ومن الابداع الجديد.

وفي محاضرة القيتها في جمعية الاقتصاديين عن التنمية والانماط الاجتماعية، حاولت ايضاح العلاقة القوية بين التطور الاقتصادي والتقدم الاجتماعي وهي قضية المجتمع قبل ان تكون قضية الفرد. وفي العديد من المقالات حاولت لفت النظر للنفط بوصفه قضية عامة سواء من حيث تأثيره السياسي او من حيث توفير رأس المال الذي تحتاجه التنمية.

فابتداءً من ١٩٨٦ اخذت اسعار النفط العربي بالتدهور وفقدان القوة الشرائية للبرميل بسبب فائض الانتاج الذي تسببت فيه السعودية في الدرجة الاولى، وقد ادى ذلك الى فقدان البلدان العربية المنتجة للنفط موارداً مالية ضخمة كان بالامكان استخدامها في التنمية العربية.

وقد بلغت خسائر الاقطار العربية المنتجة للنفط خلال المدة من ١٩٨٦ الى نهاية ٢٠٠١ نحو (١,٢) ترليون دولار بسبب انخفاض السعر عن السعر الذي يحافظ على القوة الشرائية للبرميل كما كان في ١٩٧٤ وقد ذهبت هذه الثروة للدول الصناعية الغنية وفي مقدمتها الولايات المتحدة.

وذلك مثال عملي للنقاش المتواصل في اوساط الامم المتحدة حول اختلال شروط التبادل التجاري بين الدول الصناعية والدول الفقيرة، حيث ترتفع اسعار السلع المصدرة من الدول الصناعية وتنخفض اسعار السلع المصدرة من البلدان النامية مسببة فجوة تتسرب منها الثروة من الفقراء الى الاغنياء.

وقد قمت بدراسة هذه القضية في ١٩٩٢ وجرى تحديثها لنهاية ٢٠٠١، وعلى الرغم من انها نشرت في العديد من المجلات العربية ووسائل الاعلام الا انني لم استطع جلب انتباه الرأي العام العربي لهذه القضية الاقتصادية الخطيرة.

وختاما لا يفوتني التنويه الى ان مناسبة اجتماعنا هـذا المسـاء ذات دلالات تبعث على الارتياح، فهي ترمز لتقدير الجهود البحثية في شـتى صنوف المعرفة وان دل ذلك على شئ فإنه يدل على اسـتنارة القـائمين على بيت الحكمة واخلاصهم لقضية التقدم وسعيهم لخدمة الصالح العام.

كما اود تقديم التهنئة للذين اسهموا في خدمة ثقافة التقدم من اخوانـي وزملائي الاخرين المحتفى بهم متمنيا لهم المزيد مـن النجـاح والتقـدم. وانني بدوري اتقدم بوافر الشكر والامتنان لاختياري كواحد منهم واعـدَّ الجائزة الممنوحة من هذه المؤسسة العتيدة امراً يدعوني للاعتزاز ويملئني حبورا،

فللرفيق رئيس مجلس الامناء امتناني وشكري وللاخوان في القسـم المختص الشكر العميم، مؤكدا لهم جميعا ان ماقمتم بـه ازائـي سـيكون محفزا لمزيد من العمل متمنياً لهم التوفيق ولبيت الحكمة التقـدم ولبلادنـا ولقائدها المزيد من النجاح على طريق خدمة الثقافة العربية .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ملحق رقم (٢)

بطاقته العلمية

عضو المجمع العلمي العراقي
عضو فخري في مجمع اللغة العربية الأردني
عضو مجلس أمناء مؤسسة الدراسات الفلسطينية
عضو المجلس الاستشاري لبيت الحكمة – بغداد
مؤسس مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت
ورئيس مجلس أمنائه ورئيس اللجنة التنفيذية فيه
رئيس هيئة تكريم العلماء في العراق
رئيس الهيئة العليا للعناية باللغة العربية
رئيس جمعية الاقتصاديين العراقيين
عضو شرف جمعية العراق الفلسفية

ملحق رقم (٣)

مؤلفاته وأبحاثه

العربية:-

١. نحن والشيوعية في الأزمة الحاضرة – دار الطليعة- بيروت ١٩٥٩

٢. التضخم في ليبيا ، البنك الوطني الليبي طرابلس ليبيا ١٩٦١، نشر غفلا من اسم المؤلف .

٣. نحو إصلاح زراعي اشتراكي – دار الطليعة –بيروت ١٩٦٤

٤. آراء حول الثورة العربية –دار الطليعة بيروت ط١ ١٩٦٨ ، ط٢ ١٩٧٠، ط٣، ١٩٨٥

٥. الاستقلالية في السياسة الخارجية – دار الحرية للطباعة – بغداد ١٩٧٩

٦. مذكرات و أراء في شؤون النفط – دار الطليعة – بيروت ١٩٨٠

٧. ملاحظات حول قضية الحرب مع إيران – دار الحرية للطباعة – بغداد ١٩٨٢

٨. محاولة في تفسير عملية التقدم ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٨٢

٩. متابعات لأحاديث السيد وزير الخارجية ، الخطب في الأمم المتحدة والمؤتمرات الدولية، البحرين ١٩٨٣

١٠. القومية العربية والتحديات المعاصرة – دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨٥

١١. في سبيل الجمهورية والوحدة العربية – دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨٦

١٢. تجديد الحديث عن القومية العربية والوحدة ، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ١٩٨٦

١٣. شيء عن الموضوعية، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٨٧

١٤. قراءات في الفكر القومي، مركز دراسات الوحدة العربيـة (١- ٥) (تحرير) بيروت ١٩٩٣-١٩٩٦

١٥. عن القومية والوحدة العربية ، سألني سائل فأجبت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٩٤

١٦. العقل والضمير – دار الطليعة ، بيروت ١٩٩٧

-المؤلفات المطبوعة باللغة الإنكليزية : -

1 – Comments Agrarian Reform in Syria, Planning Institute, Vented Nations, Damascus, 1967

2 – Partially Annotated Bibliography, on Planning , Planing Institute , United Nations , Damascus 1967

3 – Iraqi Foreign Policy , American Enterprise Institute , Washington , D . C ,U . S . A. 1981

الآثار المخطوطة : -

١ – الاشتراكية العربية ، رسالة التخرج في الجامعة الأمريكية فـي بيروت عام ١٩٥٣

٢ – نظم استغلال الأرض الزراعية – دراسـة مقارنـة ، رسـالة الماجستير من جامعة ويسكانسن – الولايات المتحدة

٣ – إنشاء ضريبة على الأرض الزراعية فـي العـراق – رسـالة الدكتوراه – جامعة ويسكانسن – الولايات المتحدة

المقالات والأبحاث :-

نشر اثني عشر بحثا عن مختلف قضايا القوميـة والوحـدة العربيـة قدّمت لاثنتي عشر ندوة. طبع مركز دراسات الوحدة عشرة منها ، وطبـع واحدة منها المجلس القومي للثقافة العربية (المغـرب) وواحـدة طبعـها

المجمع العلمي العراقي . ونشر الكثير غيرها من البحوث عن الشـــؤون القومية والاقتصادية والسياسية العربية نشرت فـــي مجـلات المسـتقبل العربي (بيروت) ، ودراسات عربية (بيروت) ، والوحدة (المغرب) وآفاق عربية (بغداد) والحكمة (بغداد)، ومجلة المجمع العلمي (بغداد) والموقـــف الثقافي (بغداد). وعشرات المقالات في الصحف العراقية والعربيـــة فـــي مختلف الشؤون السياسية والقومية والفكرية والثقافية العامة.

خاتمة المطاف

تلك هي الرحلة العاصفة في حياة رجل وقف ولم ينكفء ، وسار ولم يتعثر ، وكتب ولم يخطل أعطى ولم يبخل .رحلة استغرقت اكثر من نصف قرن خاضٍ فيها الدكتور سعدون حمادي غمار الحياة بكل تؤدة وأناة . استخفً الصعاب وذلل الأمنيات واستباح الفرص حتى طوعها بين يديه .

سجل النجاح في الحياة وهو طالب تضمه مدرسة ابتدائية في محلة من اعرق محلات كر بلاء العربية يستلهم الدروس والعبر من معلمين اعجب بهم واعجبوا به ، ثم وهو طالب جامعي في بيروت ثم وهو مدرس في النجف ، ثم وهو طالب دراسات عليا في ويسكانسن . ضرب بقوسه في الحياة الصعبة المريرة ، فطلبته الحياة ولم يطلبها وذلك شان المجتهدين الذين يأكلون ليعيشوا ، لا الكسالى الذين يعيشون ليأكلوا .. دخل تاريخ العراق الاقتصادي والسياسي والفكري من أوسع أبوابه فسجل الموقف تلو الموقف ، لقد خطط فكان نعم المخطط ، ونفذ فكان نعم المنفذ.. هكذا عشت صفحات مسيرة حياته الحافلة بالكفاح من اجل العراق والبعث والقومية العربية والمبادئ السامية ، فأفرغت كل الصدق في ما كتبت عنه حين ناط بي بيت الحكمة العتيد مهمة الكتابة عنه وحين وجدتني بازاء من تشتبك الأصابع إعجابا وهي تخط سيرته عسى أن أكون قد أعطيت التكليف حقه.

والله الموفق للصواب وهو المسدد والمستعان .

د. حميد مجيد هدو

بيت الحكمة – بغداد

سلسلة علماء بيت الحكمة

تنفيذا لرسالة بيت الحكمة المعاصر في تقدير وتشجيع العلماء، بدأت منذ عام ٢٠٠١ فعالية تكريم الشخصيات العلمية المعروفة بمساهماتها المتميزة في مختلف الاقسام العلمية بمنحهم جائزة بيت الحكمة.

وتوثيقا للسيرة الذاتية وعطاء بيت الحكمة، تصدر هذه السلسلة لتتناول ملفات توثيقية للعلماء الذين منحوا جائزة بيت الحكمة عام ٢٠٠١ على وفق التسلسل الوارد في قرار منح الجائزة وهم:

١. الاستاذ الدكتور سعدون حمادي/
الدراسات الاقتصادية

٢. الاستاذ الدكتور محمد صالح احمد العلي/
الدراسات التاريخية

٣. الاستاذ الدكتور عبد العزيز البسام/
الدراسات الفلسفية

٤. الاستذا الدكتور جميل الملائكة/
دراسات الترجمة

٥. الاستاذ ضياء شيت خطاب/
الدراسات القانونية

٦. الاستاذ الدكتور صادق الاسود/
الدراسات السياسية

٧. الاستاذ الدكتور اكرم نشأت/
الدراسات الاجتماعية

٨. الاستاذ الدكتور محسن عبد الحميد/
الدراسات الاسلامية

وسيتابع بيت الحكمة نشر هذه السلسلة لتوثيق السيرة الذاتية وعطاء العلماء الذين يمنحون سنويا جائزة بيت الحكمة.

■ بيت الحكمة/جمهورية العراق ـ بغداد

■ هاتف: ٤١٤١٢٠١ - ٤١٤١٢٠٢ ـ فاكس ٨٨٦٣٠١٥ ـ ص. ب ٣٥٦٤٠

■ رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٨٣٦ لسنة ٢٠٠٢

■ مطبعة الميزان ـ هاتف: ٨١٧٩٨٣٩